

**ديلارا**

ديالرا

الحب الهارب

رواية

إيمان يوسف

تصميم الغلاف: محمد محسن

تدقيق لغوي: محمود ربيع

رقم الإيداع: 2020/2348

I.S.B.N:978-977-6640-83-2

الطبعة الأولى 2020م



للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01147633268 - 01099387500

E – mail: zeinpublish2017@gmail.com

Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة ©

**إيمان يوسف**

**ديلا را**

**"الحب الهارب"**

**رواية**





## إهداء

إلى

مَنْ آمنوا أن الحياة لا يمكن أن تكون دون حب  
إلى من بحثوا عن الإجابات بداخل أنفسهم، وإن تألموا في رحلتهم...  
إلى مَنْ آمن بالروح ولقاء الأرواح قبل الأجساد، ونور القلب  
والمحبة...  
إلى من أحبَّ بصدق وتخلَّى برُقيّ...

لروحك الراقية....

أهديك روايتي.....

إلى

الأصدقاء... أصدقاء المعتكف الكتابي... لمدربي ومعلمي... للرائعين  
في حياتي... ورفقاء الطريق والأحباب... إلى الصحبة الآمنة من تقلب  
الحياة، ورحيل الأحبة وطول الانتظار...

أحبكم والله يعلم....

إلى روح أبي...

وقلبِ أمي الحنونة...

وأخوتي...

أهديكم كلمات من نور تشبهي...

## (1)

عندما لا تريد أن تخبر أحداً عنك...

عن تجربتك الخاصة، عن عدم قدرتك على التحدث، عن إيمانك أن كل شيء لا يهم، ولا شيء يستطيع أن يُحيبك، إن فقدك لذاتك أولاً ثم توالي الفقد.. عن خيباتك الكثيرة، بل وخذلانك لذاتك أيضاً.. إنه شعورك الشخصي، لا أحد يستطيع أن يعرف ماهية شعورك.

ولكن بينما تشعر بذلك تجد أن بعضاً منك يحب.. يحب بكامل ذرات جسده، بكامل أوتاره، بكامل خلايا عقله، بل أحياناً بكامل جنونه وهذيانه.. وإني عندما فقدت ذاتي، ولا أعلم إلى أين أذهب، أهرب إليهما، حتى ما عادت إلى جوارِي، إنها إحدى الملائكة التي جاءت إلى الأرض خطأً.. إنها إحدى تلك النبوءات التي إن جاءت تحوّل كل شيء حولك؛ فكل شيء لم يعد كما كان، ولن يعود أبداً.. إنها فتاتي والحب الذي لم أستطع أن أميتهُ بداخلي، أو أن أبقيه.. هي ملاكي الخاص.

هي ديلارا

## (2)

أحبه كثيراً، ولا أستطيع أن أخبره، لم أستطع أن أفعل به ذلك.. إنها أنا بكل ما في من تناقضات، أحبه كثيراً وأتركه مراراً، لا أعلم لِمَ كلما اقتربت منه يخذلي القدر، يفعل بي ما يشاء.. يبكي كثيراً حتى ما عدت أريد أن أنكسر، أحبه ولا يمكن أن أبوح له بذلك، طالما كان إلى جوارِي، لقد تخلل وجوده داخلي؛ حتى صرنا واحداً! يتألم لألمي، يضحك عندما أبتهج. يمرض عندما يأكل الوهن جسدي، لا أريد أن أحمله أكثر من ذلك، فأنا رفيقة سيئة.. يتألم كثيراً لي، ولا يمكنني أن أفعل شيئاً، ولكني سأفعل، ولكن عليه أن يسامحني.

(أحبك يا مازن كثيراً)

سأترك لك هذه الرسالة يوماً، ولكن بعض الكلمات لا تستطيع أن تصفَ ما بداخلك، ولهذا كانت الرسالة بديلاً عنها، ولقسوتها! أرجو أن تسامحني!

أسفة.. سأرحل

ديلارا

## -مازن-

(شباط 2018)

صحوْتُ لا أشعر بأطراف جسدي كاملاً، لا أستطيع النهوض من السرير، وضعتُ يدي المرتجفة على حافة السرير الخشبي، وتحاملتُ لأُقِف على قدَمَيّ، رنات المنبه تزيد انقباض روحي.. لقد رحلتُ، ولم أستطع أن أُوقِفها، لم أستطع أن أبقمها.. إنها صغيرة على هذا العالم!  
تحملتُ برودة هذا الجو القارس، تلك التي لا تتعدى برودة قلبي، ووقفت تحت مياه الدش الدافئة.. أبكي وأرتجف معاً..

لماذا رحلت عني؟!

لماذا هجرتني؟!

لقد كانت عالمي -بأكمله-، ربما كان عليّ أن أتزوجها! ولكنها رفضتني

قائلة:

- إن حيننا يتعدى ذلك..

- إنه خطأي أنا.. حماقتي، وعليّ أن أدفعه وحدي.

لم أعلم من قبلُ أنني أحبها بهذا القدر، لقد كانت دائماً محبوبتي للدرجة التي نسيْتُ بها أن أخبرها ذلك. بل مراراً ترددتُ أن أقول لها إنني أحبها، ولكنني استبدلتُ ذلك بتواجدي معها، كانت دائماً تُشعرني بالأمان، هذا الأمان الذي أعطيتها إياه كما كانت تخبرني، كان أماناً متبادلاً لي أيضاً.. كانت هي من يطمئنني ويُشعرني أن الوجود كله بحضرتها، وأني بهذا الوجود يحق لي التنفس! نعم فقط التنفس، هذا الأمر الطبيعي جداً، لهُ بالصعوبة البحتة دورها، وإن اختصرته بمرض عضوي بجهاز التنفسي المسمّى بالربو، أو ضيق تنفس عارض كما قال بعض أطبائي، وإن قلّ مع الأيام أو ازداد بفعل الحساسية الشديدة من مهالك شتّى، إلا أنني أجد معها الشعور بالراحة والألم

معًا! ولم أستطع أن أتجاوزَ الاثنين بأني وحدي لا أجد ملاذًا من الألم،  
ولا مفرّ، وأن الراحة لا تنبغي لي، حتى وإن كانت معها.

ولكنني أتذكّر أول مرة رأيتها فيها.. ديلارا فتاتي المحببة، كنت صغيرًا  
جدًّا، وهي بالكاد تشبه عَقْلَةَ الإصبع في جسمها الضئيل، لم تكن  
تماثلنا طولًا في عامنا الدراسي الثاني بالمدرسة؛ فقد كانت صغيرة،  
قصيرة القامة، شعرها أسود ناعم، وذات عيون صغيرة عسلية.

لم أنتبه لتلك التفاصيل بعامي هذا، ولكن مع السنين لم تتغيّر أو  
تكبر ديلارا بعيّنَيَّ يومًا، فقد ظلّت بنفس الشكل المطبوع بذهني هذا إلى  
اليوم، بوقفها الهادئة في انتظار..

انتظار وصولي..

## -ديالارا-

(انتظار)

دائمًا أشعر أنني بحالة انتظار.. شيء ما.. شخص ما!  
أشعر أحيانًا أنني أنتظرُ أن أفعل شيئًا، وأخذ وقتًا كثيرًا لا أعرف  
ماذا عليّ أن أفعل؟! أو ماذا أنتظر؟! لقد أصبح مُرهقًا جدًّا؛ لهذا  
تمردت، لم أريد أن أبقى قيد انتظاري، أو أن يطول بي الأمل دون أن  
أعرف ماذا سيحدث؟ بل لا أعرف ماذا أريده أن يحدث؟!  
لقد كنتُ صغيرة جدًّا عندما ترك والدي أمي، ورغم أنه عاد إلها  
بعد ذلك إلا أنني لم أدرك ماذا فعلَ ذلك بي! ولكن فيما بعد علمتُ  
كم من الأضرار لحقت بي!

طفلة صغيرة وحيدة ليس لها أخوة، مع أم تعاني من عدم  
الاعتماد على النفس، وأب راحل فيما بعد.. جميعهم يرحلون في أشد  
أوقاتي احتياجًا لوجودهم، لا أجد إلا مازن، وهو الوحيد من بقي لي  
منذ صغري ورحلاتي بهذه الحياة من الرحيل المتكرر منذ وفاة والدي،  
وأصحاب لا أعرف لِم كانوا أصدقاءً لي؟! ربما هي مصلحة ما! ورحيل  
من ظننت أنني أحببتهم، ولم يتبقَّ لي من أحد، ولكن لِم أرحل عن  
الشخص الوحيد الذي ظلَّ معي؟!

أرحلُ عنه وعني؟ ولكني أبقيه.. مازن صديقي منذ الطفولة، لا  
أشعر أنني أرحل عنه؛ فهو معي حيثما ذهبت، إنه أنا في مكان آخر –  
يشبهني كثيرًا وأشبه تفاصيله-. إنني أرحل ولكنه راحل مع! تبقى فقط  
المسافة الكونية.. إنه بداخلي وإلى جوارِي.

عندما أسمع الموسيقى تكون الأغاني التي استمعنا إليها سويًا..  
عندما أفعل أي شيء أجد رأيي مازن بداخل عقلي عن كل شيء، عن  
أتفه الأشياء وعن أعمق ما في الحياة، عن أن جيفارا ثوري وليس

شاعرًا كما كنت أظن، وأن الحيوانات ليست بشرًا لأحدّها مثلما أفعل! وأنه بدون أجهزة الحاسب وكل ذلك من عالمنا، سنحيا كما لا يعتقد هو أنه ينبغي.

وإن سذاجتي تضحكه كثيرًا، وإن تحوّلت أفكاري هذه لعقل كاملٍ لا تكفي طفلة ذات خمس سنوات؛ فيكفي عقلي الذي لا يُعادل ذكاء قطة، كم أشتاقك مازن بحديثك الذي يبدو لي من السذاجة بأن أضحك أيضًا، وإن كان ال IQ لديّ هو بذكاء قطة؛ فهذا يكفي -بهذا العالم الأحمق-، ولأحبّ الحمقى أيضًا!

## -مازن-

لم يمر على رحيلها يومان وأشعر بالفقد كاملاً، هذا الشعور بجسدي وعقلي وكل ما حولي: كأنَّ أحد أطرافي قد قُطِعَ أو أُخِذَ من مكانه، إني أشعر بالعجز، جلستُ حتى المساء في منزلي حتى فاضت عيناى بما فيها وبكىت.. بكيتُ حيي وخذلاني، وأن رحيلها ليس أن أفقدها، ولكن الأشد هو حديثها اللاذع الذي لن أنساه، ولن تقوى ذاكرتي على نسيانه أو السماح لي بمسامحة نفسي، ترددت الكلمات بنذهني:

ديلارا:

- سيبي أمشي.

مازن:

- بقولك مش هتمشي.. فاهمة؟

- بقولك اوعى يا مازن.. سيب دراعي!

- اهدي.

- مش ههدى.. فاهم؟

- طب استنى حاجي معاك!

- مش عاوزه حدّ معايا.. افهم بقى.

- استنى.. مفيش حتّة تروحيلها!

- مش فارق معايا.

- يا ديلارا، أنتِ بتهربي! انتِ جبانة.. واجهي.

- دي أنا؟! مازن انتِ اللي جبان.. وياما سكتت على حاجات مش

قابلها وسكتت، دايمًا بتسكتت.. كل مرة أقولك خد بحقك يا مازن..



## -ديالرا-

(اعتذار)

بينما يتحركُ بي القطار من القاهرة للإسكندرية ويعبر حولي المارة، وشعوري الغريب بالتحرّر- لقد تحررت... تركتُ كل شيء خلفي؛ أمي وهذا الغريب، والجامعة، ومازن... شعرتُ بالخِفة، وأن لا شيء ولا أحد يلاحقني، وأنِّي صاحبة قراري الخاص، حتى ولو كان حجز تذاكر قطار وتواجدي في فندق ليومين، ولكنه الشعور الحُرّ بأني لا أعتد على أحد، ولا أنتمي لأحدٍ ما، فلطالما شعرتُ أنني أنتمي لمازن، لصداقتنا، لجلوسنا معًا، لأحدِ أنواع المحبة التي لم أستطع أن أنجو من دونها ومن دونه، واليوم أنا لستُ معه، وبمرور القطار يمرّ بعيني أول لقاء منذ طفولة بعيدة، حتى الشجار الأحمق الذي تركته به دون كلمة اعتذار واحدة.

جلستُ بجواري سيدة بالأربعين كما يبدو من ملامحها، ومعها طفل صغير يذكرني بمازن عندما رأيته لأول مرة، كنت أقف كما أمرتني أمي أنتظر مجيء سيارة أبي التي يرسلها لتأخذني إلى المنزل، أخاف أن أترك مكاني حتى لا أضيع.. كنت صغيرة جدًا، وبينما أقفُ وحدي وجدته واقفًا أمامي، يبتسم لي، مُعرِّفًا نفسه لي، ترددتُ قليلًا بالإجابة؛ ففي أول مرة أحدثُ أحدًا منذ تركت مدرستي السابقة ومجئنا لهذا الحي، ابتسمت له..

- مازن.

- ديالرا.

لم نتحدث كثيرًا؛ فقد جاءت السيارة وكنت أخشى أن يُعلم السائق أمي أنني لستُ كما تريد أن أقف في انتظاره؛ فتركت مازن ورحلت.. أتذكر هذه اللحظة جيدًا، وأتذكر مازن وشجاعته الدائمة بأن يبقى إلى جواري منذ يومي الأول بالمدرسة الابتدائية، وحتى رحلتُ منذ يومين،

ولكنني نعتُّه بالجبان! لم أكن محقة، كنت مستاءة، أحاسب مازنَ على شيء ليس له دخل به، على أخطاءٍ لم يُقْم بها! أردتُ أن أخبره ذلك ولم أفعل!

(قد كُنتَ شجاعاً جداً دائماً معي...)

وإن كنتَ لا تحمل غير قلب نقي...

لا يقسو على أحدٍ غير نفسك، إلا أنكَ لستَ جباناً قط)

ومع سقوط دمعة حارة انتشَلها الهواء البارد من على وجهي

المتجهِّم بعيداً من نافذة القطار.. تمتت: أسفة!

## -مازن-

إن بعض الكلمات يعبرُ بداخلك كعبور المياه ويحيي فيك أوصالك، وبعضها كالطَّلقاتِ تخترقك لتميتك، ولكن كلماتها لم تفعل ذلك؛ كانت كالطلقة الطائشة.. لم تخترقَ لنتقتلي، ولكنها أصابتني حيث الألم القابع بداخلي، إنها فقط أشارت لي بوجود عِلَّةٍ ما بي لم أُرِد أن تراها - أخفيها عنها بالتحديد-. ولكني مع الأسف لم أدرك أنها علّمت بوجودها. كجرح غائر بوجه أحدهم، الجميع يراه، ويعلمُ هو أن الجميع يراه، ولكن يخفيُّه عن الفتاة التي يحيها، وهي أيضًا تراه وتعلم حقيقته.. حقيقة جنبه، وأن الشجاعة التي أزعّمها أمامها ما هي إلا غطاءً لهذا الجبن الذي طالما وُصمّت به.

وها هي عندما أشارت إليه صرّت أمشي معلناً له، أمشي بالشوارع؛ فأراه في كل عيون من نظري، كوحش الأوبرا الذي ظلّ لأعوامٍ يخفي هذا النشوه به.. الذي أخفاه جيداً.. حقيقة وجهه، ويخفي وجوده عن هذا العالم، وعندما واجهته صار معلناً له ولقبحه.

في قصتي تلك "I'm The Phantom of the Opera"؛ فقد أخفيتُ ديلارا عن الجميع، كانت معي وإلى جوارِي كما كنت معها، بل لم تُدرك أنني كنتُ لا أريدها أن تبعد عني، وألا يعرف بها أحد؛ فهي رائعة.. ناعمة الوجه.. عيناها تلمعان بطفولية لم تفقدُها أبداً.. شعرُها المموج الذي يعاكس توقعات الطبيعة لفتاة بيضاء ضئيلة الجسد، ولكنها تُخفيهِ، ليس لرغبة منها، بل لإرضاء والدتها بأن الفتاة يجب أن يكون شعرها ناعماً طويلاً؛ فكانت دائماً تفرده.

كانت جميلة بكل أحوالها -ملاگًا-. عندما يُموج شعرها تكون كزهرة عباد شمس مشعة، وتصير بعدها بعودٍ ممشوق، وشعر ناعم، كزهرة تيوليب بيضاء.. ناعمة.. خجولة، تداري عنها انطلاقها وحيويتها

وملابس لا تختارها بنفسها.. ألوان بيضاء كثيرة وفاتحة لفتاة كما ينبغي أن تكون، وليس كما تريد هي، ولكنها جميلة دائماً.

## -ديالارا-

لم أعرف إلى أين أذهب، توقف بي القطار، جلست به حتى تركه من حولي.. شعرتُ بانقباض روحي، وأن أنفاسي تعلو وتهبط، لا أستطيع أن أتحرك! ترددتُ أن أنزل من القطار، وفكرتُ بأن أعود مع مَنْ بدأ في الصعود عائداً إلى القاهرة، ولكني في لحظة حدثت نفسي:

- اتحركي ماتخافيش.

نزلتُ مسرعة كمن يخشى أن يفوته شيءٌ ما أو موعد مهم، وحملتُ حقيبتي التي لا أعلم حتى الآن ما وضعتُ بها من ملابس؛ فلم أهتم، ولم أكن أهتم مؤخرًا بكل ما بخزانتني من أشياء؛ فأغلبها لا يشبهني من الداخل! ولا أهتم به حقًا إلا الجيتار.. لم ولن أنساه، فقد كنتُ أخفيه جيدًا بعيدًا عن أمي، وهو واحد ممَّن ألجأ إليهم بتلك الحياة، لولاه لكنتُ متُّ غمًا وقهراً.

حملتُ حقيبتي وجيتاري وهرولت لشوارع الإسكندرية هائمة على وجهي، لا اتجاه محدد، حتى بدت قطرات تتساقط على وجهي، تمطرُ سكونًا ودفئًا، شعرت بالحرية التي أفتقدها دائمًا، الشوارع جميلة ممتلئة زاخمة بالبشر، يمرُّون كإشارة مرور مرة بعيني، ولحظات أخرى كطيف ملون بلا ملامح.

تمشيتُ بالشوارع لساعات بفرحة طفل صغير؛ فهي أول مرة لي بالمدينة، حتى أنهكت قدمي ولم تعد تحملي، حتى وجدت فندقًا صغيرًا "موتيل" مثل الفنادق، ولكنه أرخص قليلًا، لم أهتم بحالته، نمتُ بملابسي أحتضن جيتاري وحقيبتي ملقاةً عند قدمي، إهمال كامل لا تحتمله أمي.. حرية لم أعهدا من قبل، وتذكرت قبل أن تذهب عينا في ثبات عميق ملامح أمي.. وغفوت.

## -مازن-

لم أستطع أن أغفو هذه الليلة أيضًا..

أين يمكن أن أجد لها إجابة؟! ماذا تفعل؟! إلى أين قد تذهب؟! جميعها تساؤلات لا أجد لها إجابة! توقّف عقلي وأصبّت بحالة من التجمد، خاصةً أمامها.. أمام أم ديلارا وهي تستجديني أن أبحث عنها، أو إلى أين يمكن أن تكون ابنتها ذهبت؟! ولمّ رحلت؟ ولمّ أستطع أن أمنعها! وقفتُ كطالب فاشل علمٍ والداه تَوًّا أنه رسب، ولا يعرف إلى أين يذهب من تساؤلاتهم؟!!

أم ديلارا:

- بنتي فين يا مازن؟ يا بني هي مش أختك وصاحبتك؟! ازاي كده..  
طب دور علمها! طب انت مخي عليا إنها في حجة انت عارفها؟!!

لم أكن أجيها، كنت أشعرُ أن جميع أسئلتها هي اتهامات، ولا أعرف غير إجابة واحدة لها جميعًا... لا أعرف، إجابة واحدة تبدو من السخافة كتعبير أحدهم أنه يُخرج لك لسانه بأنك أحمق! وأنا الأحمق! لا أعرف.. وبدخلي أنا أحمق وتركتها ترحل، وكذلك تركتُ والدة ديلارا مع أمي وأنا أهبط على درجات السلم كمن يهرب من مُطارِد لا يريد أن يمسك به، وبدأت أبحث عنها بعشوائية شديدة بالأماكن التي اعتدنا أن نكون بها معًا، وأعلم جيدًا بدخلي أنها لن تكون بها، ولكني أخذتُ أبحث وأنظر لوجوه العابرين؛ لعلها تكون واحدة منهم.

وبينما أبحثُ توقفتُ بغته كأنما اكتشفتُ اكتشافًا لم يأت بعقلي تمامًا، وحدثتُ صديقتها عالية، وبدأت في الرواية الخاصة بي عن رحيل ديلارا كأنما وجدتُ قشة تنقذني من هذا الغرق!

## -ديالارا-

صبحوتُ متجمدةً من البرد، كنتُ قد غفوتُ كمغمى عليه.. لا أريد شيئاً غير أن أفيق وبعض القهوة، رأسي يؤلني كأنما يتحطم داخلياً من شدة الصداع، ولم أجد أحداً معي بالغرفة بعد، شعرت بالطمأنينة، وعلى الأقل لم أتم هذه الليلة مع أحد بهذا المكان الجديد، ترددتُ في الذهاب إلى حمام "الموتيل"؛ فهو مشترك خارج الغرفة، ولكن هذا المكان هو الأفضل لميزانيتي الحالية، مشيتُ كمُعاقبة أتذكر حياتي السابقة، وأن كل شيء كان كما يجب بانتظاري كأميرة..

- أفريقي أنتِ لست أميرة "Im not a princess".

وضحكت لنفسي:

- "لا، أنا فرفورة".

بعد هذا "الشاور" بحثتُ عن أداة فرد الشعر لم أجدها! تركتها ولم أنتبه؛ فتركت شعري الكثيف ليحجف، وشعرت لأول مرة أنها انطلاقتي الأولى، ابتهجت قليلاً.. "الكيرلي" يليق بي، طالما كنتُ مثل عروس "باربي" المنمقة في الخروج من المنزل، ولكني الآن أشبه نفسي وغجرتي، وأخيراً وجدت قهوة بأحد الكافيهات على البحر، رأسي أُعيدَ اتزائه من جديد، جلست ساعات طويلة أمام البحر منذ صباح اليوم لا أفكر بشيء أو أحد... متجهمةً تمامًا كأنما فقدت ذاكرتي.. شعور يتغلغل بداخلي أنني لم أعد وحيدة، أشعر أنني في هذا الكون مالكة لي.. لنفسي، لا أحد يملك قراري، وليس عليّ إرضاء أحد، فكرت بمازن وبما قد فعله منذ رحيلي، وكيف هو حاله؟! أخسئ أن أفتح هاتفي وأخاطبه... الحنين إليه يُحيطني، والعناد بأن أبقى وحدي مكتفية بذاتي يزداد بداخلي؛ لهذا عدت إلى "الموتيل" وأنا بقرارة نفسي أن أعود، أن أحمل أشياءي وأعود لمأزني، ولكنها مجرد ساعات وبدلاً عن

ذلك اتجهتُ إلى إحدى الحَفَلاتِ الصاخبةِ القريبة؛ فبعضُ الموسيقى يأخذك من عالمك إلى عالمٍ آخر ينسبك ما فعله العالم بك، ويشعرك أنك حي حقًا.

أخذتُ جيتاري معي ولا أعرف لِمَ؟! ربما خشيتُ أن يُسرقَ من هذا المكان.

- يمكن أن أحيأ بدون كل شيء، إلا رفيقي "الجيتار هذا ومازن.

كما كنت أقول لصديقتي عالية دائمًا...

ديلارا:

- عارفه يا عالية.. الجيتار اللي مخيباه من ماما دا لو مرة اكتشفته هتعمل فيا إيه؟! عالية:

- اممم طنط! أعتقد إننا مش هتصدق أصلًا إن عندك جيتار!

- ههههه أفكر كدا، وممكن ساعتها أقول لها إنه بتاعك.

- فكرة برضه، مع إنني أفضل من إنني أمسكه، ولا أقولك.. ما تجيبي أجرب كدا يا بنتي أعزف عليه!

- اوعي.. انتي اتجنتتي.. جيتاري دا محدش يلمسه غيري.. دا رفيقي.

- رفيقك؟! إمال مازن دا إيه؟! - مازن دا رفيقي الأولاني.

- أيوه صح، صديق طفولة وكده.

- بالطَّبَط كده، فهمتي بقى؟ أنا ما أقدرش أعيش من غير اتنين.. مازن والجيتار.

- إيه ده؟! طب وأنا يا "زفتة" انتي؟! - أفدر أعيش من غيرك عادي!

- بقى كدا... طيب مش هخرج معاكي وخليكي مع جيتارك، ويلا بقى،  
يلا كمان من عربيتي، مش وصلتك؟!

- استي يا بنتي يخربيتك، دا اني صاحبتى الوحيدة ماتهنوئيش  
عليا.. وبعدين استي أشوف ماما فوق ولا لأ؛ عشان أسيب الجيتار  
عند مازن.

- تاني اني وجيتارك ومازن؟!

- معلىش والله.. بحبك يا "هبله" اني والله.

- اني بس صعبتى علي! يلا اخلصي قبل ما أزوِّك من العربية  
أهو! كلمي أمك.

- أمك! مفيش أي احترام خالص!

- انجزي بقى هتأخر، وانتي عارفة أمي زي طنط بالظبط.. تحب  
المواعيد زي عينها.. ماتتأخرش يا عالية وإلا هاخذ العربية، وانتي  
عارفه بقى عربيتي دي زي جيتارك ده.

- يعني جايه تقولي لي هتتأخري دلوقتي.. أهو خلاص ردّت...

كم أفتقد عالية وطريقتهما في معاملة الأمور وسخريتها الكثيرة من  
كل شيء.. صديقة، وكما يُقال "بنت مصرية جدعة".. أحبها كثيرًا، وهي  
الوحيدة التي تعلم بوجودي بالإسكندرية، أرجو أن لا تخبر أحدًا  
بمكاني!

## -مازن-

تردد!

إجابات مضللة!

هكذا كان شعوري عندما حدثتُ عاليةً، كانت تجيد إخفاء الحقيقة، وأنها لا تعرف إلى أين قد تكون ذهبت ديلارا؟ ولكني أستشعر من هذه النبوة في صوتها وتغيّر بحته المميزة لديها أنها تعرف! هي تعرف مكان ديلارا!

ولكن عليّ أن أجعلها تثق بي لتخبرني، أو أن أطمئن فقط عليها! ولكن لا، بداخلي يحترق، إنها تعرف ولا تريد إخباري بذلك! الأكيد أن ديلارا هي من طلبت منها ألا تخبرني! كيف يحدث هذا؟! هل ديلارا تهرب مني الآن؟! تتجاهلني عمدًا؟! ولكن ماذا فعلتُ أنا؟! حسنًا.. لقد تجاهلتها كثيرًا هذه الفترة، لم أكن أجيبُ على رسائلها، أراها وتكون فقط "Seen" هي إجابتي..

(إني أعرف حقًا أنك تريدني التحدث إليّ، ومع كل ذلك تركتُ لك الحيرة حتى زادت العقدة واختل التوازن بين رغبتني بك وبعدي عنك!) في بعض الأوقات أشعرُ أنها تشعر بي، أو تعلم ما يجول بخاطري، وأستشعر ذلك في كثير من الأوقات، هذا الشعور الغريب أن الآخر بداخلك، أو أنك بداخله.. تكرر هذا معها من قبل، ولكني اعتقدتُ يومها أنه لأننا أصدقاء طفولة، وكان يحدث ذلك من صغرنا، وربما تولّد هذا الشعور لميلادنا معًا في نفس الخط الزمني بفارق يوم واحد كأن ذلك يخبرنا أننا معًا منذ البداية.. نفس العام، نفس الشهر، فقط أسبقها بيوم واحد.

أشعر أحيانًا أنها تقرأ أفكارني، بل تُجيب عن بعض ما بي عندما يحتدّ بيننا النقاش، ولكني أربكها ولا أترك لها العنان بأن تتجول

برأسي وتعبث بأفكاري، وبينما أفتعلُّ دور الأحمق بمعلومات عديدة وأفكار لا تجري بذهني حقًّا؛ حتى لا تعبث بي، كانت بالفعل عابثة بمشاعري رغمًا عني، أعشقها.. وتلمع عيناها لرؤيتها، وأسعد مرّة وتتوقف سعادتِي مرات بفعلها دون أسباب أجيد قولها عندما تسألني ماذا بي؟!

خاصة عندما يقترب منها أحد ما طامحًا في نيل رضاها أو مصادقتها؛ ففُتت اتزاني ويخرج الشك بأنياه ليبدأ في نهش داخلي بتلذذ غريب! لم أحتمل هذا الأمر هذه المرة؛ ولهذا هربتُ منها وعنها، حتى عادت هي بي منتصرة عليّ؛ فأجد نفسي أمام باب شقتها لا أستطيع أن أبتعد، وأتعلّل بانشغالي وأن كلية الهندسة صعبة، وأن المشروعات تأخذ وقتًا ومجهودًا ذهنيًا كبيرًا، كانت حيكتي جيّدة وإن كانت جزءًا من الحقيقة، ولكنها لم تكن أكملها، ولكنه عنادي وكبريائي، وها أنا أعيد الشك لينهش ضحيته العنيدة! كلما ابتعدتُ عنه جاء ليعلم وجوده وسلطته عليّ: إلى أين ذهبت؟! عقلي يثور ولا أجد إجابة!

## -ديالرا-

أنوار الحفلة بعيني أخذت من لمعة دموعي، كنت أبكي لسماع  
الموسيقى وأشعر أنني أتحرق من قيدٍ ظلّ عالماً برقبتي؛ فأبكي ضعفي،  
حتى شعرتُ أن عليّ أن أبقى قوية؛ فبدأت بالصياح مع الجمهور  
الهائج مع موسيقى إحدى فرقي المحببة "مسار إجباري" وبدأت أقفز  
معهم.. لم أعد أفكر بشيء ولا في أحد، فقط أستمتع وأشعر بالحياة،  
وأردّد معهم أغنياتهم...

(يا عم شوط الهم لا تهتم.. بلاش سَمَاك بالغيم تعكّر..)  
(رشرش في سكة شروقنا سكر) (وباب بَرَاك بلاش تسنكر)  
(يا بو غنوة لينا في العتمة نور)

مع الحفلة لم أشعر بوجودي، كنت أذوب في ألحان وعزف الجيتار  
والطبلية، ولكن يبدو أن أحدهم رأي وشعري، وجذبه لي فضوله.  
عيناه ظلّت عالقة بي! ويبدو أن شعري المموج -الذي لم أعتده- مع  
قفزي الشديد كان مبهجاً جداً لي، ومثيراً لدهشة الجنس الآخر، حتى  
اقترب منّي على الرغم من انفعالي واعتقادي أنني سأنفّر منه، لم  
أستطع أن أفعل ذلك، وجدته ينظر لي بعينين زرقاوين كالبحر، لم  
أنطق حرفاً، فقط نظرتُ إليه كمركبٍ غرقت ببحر من الزرقة ولا  
تعرف وسيلة لانتشالها، حتى انتشلي بـ

- "Hey" ..

ترددتُ في إجابته!

ديالرا:

- أيوه وبعدين؟!

- تصدقي.. دا أغرب رد ممكن أي حد يسمعه...

- فكرك كده؟

- والله مش تطفل. بس حبيت أسألك على حاجة، ممكن؟!

- دا بجد؟!

- اممم واضح إن كل ردودك دي هتبسطني قوي!

- بص.. عشان بسمعك بالعافية، وبعدين أنا جايّه للحفلة.

- طيب هسّتي!

صمت، وأكملت قفزي وتنطّطي، ولكني كنت أشعر بالإحراج والسعادة معاً! أحدهم يشاهدني ويضحك على طفولتي، وأنا أيضاً أنظر إليه، ولكني أقاوم وسامته الشديدة.. يجب أن أتجاهل ذلك! وأكملت مع مسار أغانيهم التي أحياها.

وتُقع وتقوم، وتقوم وتُقع.. في الفرح دموع. ودموع يا وجع

مين قال مقسوم؟! كذاب يا ودع، انت اللي في إيدك طرف الخيط

في الزحمة وشوش جايّه وبثروح، خايف على قلبي ببات مجروح

ضحكة من الحلوة تردّ الروح، تفتح شبابيك وبيبان البيت

أنا صابني الحزن ما قولتش ليه؟ وعاندي الحزن قديرت عليه

ويا بحر حلفت إني أعديّه، ويفوت العمر لو استنيت

بعد انتهاء الحفلة لم أنتظر، وتحركت بين الجموع الكثيرة لخارج الحديقة المقام بها الحفل، وبينما أمشي شعرت أنه خلفي، ترددت في النظر إلى الوراء، ولكني شعرت أنه يجب أن أتماسك وأن أواجهه!

نظرت خلفي وجدته مبتسماً وينظر لي! بصوت قوي حدثته:

- إيه جَوّ "الشقط" ده؟!

لم يجبني، ما زال حولي الكثير من الناس.. أشعرتني وجودهم بالأمان، ولكني أخشى أن أكمل طريقي ويلاحقني، استطعت أن أهرب منه في الخروج من الحفلة، ووسط الناس، ولكنّه عثر عليّ وتبعني! التفت إليه بكلمات أخرى رافضة:

- أيوه يعني عاوز إيه انت؟!

- انتي ماستنئيش ليه؟!

قالها بمنتهى الجدية والحدة معاً كأنى أعرفه وتركته؛ فصمتُ  
مندهشة!

- مش قولتلك هستناكي! مشيتي ليه بقى وخلتيني أدور عليك زي  
الأهبل، ومش كدا وبس، وجرجرت باقي أصحابي كمان من الحفلة كلها!  
- إيه! هو فيه إيه بالظبط؟! انت وصحابك!

علامات الخوف والرعب التي ارتسمت على وجهي، وتسمرت قدماي  
بالأرض، أكاد أن أفقد وعيي! أين مازن؟! لم لئس معي؟! بحثتُ عنه  
حولي ولم أجده!

ولكن يبدو أن رعي هذا جعل الوسيم يعيد كلامه لي!

- لا استني! انتي فهمتي إيه؟! ما أقصدش والله؟! أنا محترم والله...  
واسمي يوسف.

كنتُ أشعر أنني يجب أن أهرب، ولكني لم أفعل! تسمرتُ مكاني،  
ويبدو أنني كنت بحالة صدمة لم أعدها من قبل، بلد غريب عني،  
أشخاص لا أعرفهم، أحدهم يلاحقني ولا أعرفه.. تجمدتُ بلحظة!

يوسف:

- واضح إنني خوّفتك.. آسف والله، طب بُصّي.. لو عاوزاني أمشي  
همشي! بس فاكرة إنّي كنت هسألك على حاجة! فاكرة؟ الجيتار دا  
بتاعك.. صح؟!

صوته كان قوياً واثقاً، وكلمة الجيتار أخرجتني من حالة تجمدي  
مع بعض من الرهبة محاولة مني أن أطمئن! ما زال هناك بعض  
الأشخاص يمرّون حولي! إن شعرتُ بالخطر سأصرخ! أجبته بحدة  
شديدة:

- أه، دا الجيتار بتاعي!

- طيب بصي.. أنا عندي فرقة والله وأنا بغنيّ فيها! وكان ناقصنا حد بيعرف يعزف على الجيتار عشان صاحبنا هيسافر الفترة دي ومحتاجين نتمرن... فهمتي بقي؟!

- فرقة إيه؟!

- لا دي عاوزَه قَعْدَة! مش بقولك جرجرت صحابي من الحفلة، وهما دلوقتي راحوا ياكلوا.. ما هو لو كنتي صبرتي كنتي شوفتهم وعرفتِك عليهم! ها تتعرفي عليهم؟ وتعرفيني عليكي انتي كمان.. اسمك مثلاً؟!

- أنا اسمي ديلارا.

وعلى الرغم من شعوري المتردّد، وأني ما زلتُ لا أعرف ماذا عليّ أن أفعل! ولكنه التمرد عليّ وأن أذهب معه، شعوري المتناقض مع أفعالي!

ولكنها التجربة...

## -مازن-

توقّفت عاليةً أمامي مندهشة تحاول التراجع أو الهروب كما  
استشعرت من عينها، ابتسمتُ لأطمئنها:

- ازيك يا عالية؟

- الحمد لله.. ازيك يا مازن؟

- إيه دا! إيه اللي جابك عندنا الكلية؟! مش كليتك هندسة باين؟!!

- آه.. ما هو أنا جاي عشان أتكلّم معاكي، ها ينفع نروح نقعد في أي  
حطة؟

- طب تمام! عندي محاضرة، هي "section" صغير مش هطول، هي  
ساعة ونص بالكثير.

- طيب هايل، أستناكي فين؟

- فيه كافيه قريب من هنا ممكن تستناني فيه اسمه "Space"، آخر  
الشارع اللي قدامنا ده.

- تمام هستناكي.

اتجهتُ إلى الكافيه محاولاً أن أكون هادئاً قدر المستطاع، وأن  
أستطيع أن أعرف من عاليةً إلى أين ذهبت ديلارا؟ عليّ أن أبتلع  
انفعالي وشكوكي القاتلة والقاتكة بي، وأكون مسالماً جداً... بسيطاً،  
وليس فقط بشكلٍ مفتعل، حتّى نبرات صوتي يجب أن تكون هادئة!

بعد حوالي ساعتين إلا دقائق أتت عاليةً، كانت تبدو مفتعلة  
الهدوء، لستُ وحدي إذًا! ربما عليّ أن أستغل هذه النقطة لصالحني  
وأن ألعّب على أوتارها، لن أسمح لها بالكذب عليّ مجددًا، إن كارتني هو  
الرابح! لا لعبة إلا وأنا فائز بما قد أجنّيه من حديث مع عاليةً.

عاليا:

- مازن، إيه أخبارك؟!

- تمام.. بس مش تمام قوي!

- أه.. كنت عاوزني في إيه؟

- ديلازا.. انتي عارفة هي سافرت فين؟ وأكيد مش هَضَعَطَ عليكي، بس لازم أطمئن والدتها!

- انتَ عارف إنها سافرت، بس والله هي ما قالتليش رايحَه فين! أكَدت لي عالية شَكُوكي بسفر ديلازا، ما زلتُ أشعر بها ولم أفقد هذا الرابط الروحاني كما كانت تخبرني ديلازا عنه... هي سافَرت! ولكن أحد خيوط اللعبة مع عالية، ومن خلالها أستطيع أن أصل إلى شيء ما.

مازن:

- طب يا عالية.. انتي عارفَه إنَّ تليفونها مقفول؟

- هو مقفول معايا، وماكلمتهاش من فترة والله، حتى عندنا أبحاث كتيرة في "semester" دا، وهي كِدَه بتهزر والله يا مازن... صدقني لو أعرف مكانها هاقولك.

- أوك يا عالية.. انتي عارفَه على الأقل هي سافرت فين، وعشان صاحبتك واللي بتقولي ماينفعش ده ابقِي قوليلي، بس همّا يومين يا عالية، هستناكي خلال اليومين دول تقولي لي سافرت فين؟ ولمين؟!

لم أستطع أن أخفي قلقي وشكوكي الأخيرة مع عالية، ولكن بعض الرهبة والخوف يمكن أن يوصلك لما تريده.

وقد يكون قبل أن ينتهي اليومان، أعلم أن عالية سوف تتصل بي وتخبرني ما تعلمه حقًا، تكرار الانفعال في صوتها وتعبيرات جسدها لن تستطيع أن تخفي عني ما تعرفه أكثر من أيام، عليّ أنا فقط الصبر، أو ادعائه إن تطلب ذلك مني.

## -ديالرا-

كل ما حولي يتّسع.. هكذا شعرتُ أنني بداخل شعور مفعّم بالحياة، التي اعتقدت أنها ستضيق بي من أيام، بعد توالي نوبات الغضب المتوالية مع أمي حتى لم أعد أتحمّل، وشجاري مع الأحب إلى قلبي مازن، وزيادة شعوري بأن الرحيل هو ملاذي الأخير.

إلا أنني مفعمة بشعور يحييني من جديد.. أشتاق إليهم كثيرًا، ولكنني أيضًا أشتاق إلى نفسي! تلك الفتاة الحاملة التي لم تعد ترى شيئًا، أو حياةً تخصها معهم، أريد فقط أن أتعرف على ذاتي.. أن أعرف ماذا أريد؟! وماذا أحب؟!

أن أعيد كل شيء حولي إلى أصله، وأن أكون بلا قراراتٍ تُؤخّذ عني، أو من يفعل من أجلي كل شيء، سواء أردته أو لم أرده!

أخذني يوسف وجلستُ مع أصدقائه بأحد الكافيهات على البحر، جلستُ بدائرهم الصغيرة مبتهجة، على الرغم من ملامح وجهي القلقة، ورغبة يوسف الدائمة في أن يطمئنني بنظراته وابتسامته اللطيفة.

لم أتحدّث كثيرًا، لدرجة أن يوسف ظل ينظر لي من أن لآخر، أصدقائه مرحون ذوّو أسلوب شرقي غربي لذيذ، لقد استمتعتُ بصحبتهم ومزاجهم غير التقليدي، أما يوسف فبعد هذه الجلسة أخذني لأعود إلى "الموتيل"؛ فلم أشعر بالوقت، وتوتّرتُ كثيرًا عندما وجدتُ الساعة شارفت الواحدة صباحًا.

لا أعرف من أخشى؟! فأنا أعود إلى مكان لا يعرفني فيه أحد، ولكنني شعرتُ أنّ أمي ستعرف، بل وربما تأتي إلى قلقةً من إصابتي بمكروه! أمي تخاف عليّ كثيرًا وتحبني للغاية.. أفتقدتها جدًّا، وأفتقد مازن.. صديقي، بداخلي أشعرُ به يبحث عني ولا يجد ما يريد، لا

أستطيع أن أعود إلى أحضانهم سريعًا دون أن أجد ضالتي.. أن أجدني!  
وأُحِبُّ كما يفعلون!

أريدُ أن أحب نفسي..

أريد أن أحب نفسي كما هي.. كما آرائي، وليس كما يرونني!

أرسلتُ إليه رسالة من هاتفي وأغلقتُه سريعًا..

(ماتدورس عليًا يا مازن)

لم أعرف لِمَ بعثتُ إليه رسالتي تلك؟! ولكي بعدها قمتُ بتغيير  
الرقم؛ حتى لا أعود لمحدثته أو مهاتفه أمي... لن أقوى على ذلك!

## -مازن-

كلّما أردت أن أستجمع قواي انهزمت تمامًا تاركة لي ضعفي!

وكلّما قاتلتُ أشباحي أعود للخلف مصابًا بالإحباط.

وأعود للمرة الأولى التي خُذِلْتُ بها ولم أحصل على ما أريد، وها أنا ثانية بلا شيءٍ مثقلٌ للغاية، لا تحملي قدماي، لا أريد أن أواجه شيئًا ولا شخصًا. أغلق ذاتي عليّ، لا أريد أن أسمع صوت أفكارِي وشكوكي ومخاوفي، إني أنهار داخليًا، وأقف وحدي لا أعلم إلى أين قد أذهب؟ توقّف عقلي تمامًا.

رسالتها تلك جعلتني متني اثنين يتعاركان مع بعضهما البعض؛ أحدهما يعشقها حتى النخاع؛ فاستوطنت بكل ذرات جسده وعقله وأفكاره، والآخر يرفض أنها تركته هكذا دون مبررٍ كافٍ؛ ليبحث عنها، ولكنه يبحث! وهي الآن تكفّ عنه رغبتة ليجدها، كأنما تراقبه من بعيد! وتراه جالسةً في غرفة مظلمة باردة ليس بها مفتاح، وهو يلهث بحثًا عن الخلاص ولا يراها؛ يتحسّس كلّ شبر بهذا المستودع المظلم ويخشى عليها، تقتله أفكاره، يصرخ عليها تستجيب، وهي فقط تعبت به؛ فيعود يتخبّط بالجدران، وهي من معه المفتاح ولا تستجيب له ولمّا يشعر به من ضياع!

تخلّصتُ من رسالتها تلك، ولكني لم أمحها! وضعتها في أرشيف رسائلي فقط بدافع من الغضب، وخلعتُ عني ملابسي تحت دسّ بارد لأهدئ حرارة جسدي الملتهب من وقع أفكارِي الحارة، ولا أبالي إن مرضتُ أو تحسّنتُ، لا أبالي على الإطلاق.

غفوتُ تلك الليلة هادئًا جدًّا، لا راحة تكفي المنهك، ولا أفضل للميت من قبره؛ ليستسلم ويكفّ عن طلب الحياة وأنفاسها القاتلة بداخله؛ فيريد أن تتوقّف أنفاسه؛ فيعلو ضجيجها بداخل صدره، الألم يحاصرني.. ولا أتغلب عليه؛ حبًّا يقتلي وجسدًا يتهاوى، الربو حين أنساه يأتي بغتة كاللص؛ ليصفعني على وجهي، وضعتُ البخاخة في فمي، وتوقفت يداي وجسدي عن الرجفة وغفوتُ.

## -ديالارا-

صحوْتُ فزعة.. أنفاسي متقطّعة يختنق صدري، رَدَدْتُ اسم مازن وتذكرتُ مرضَه المزمَن، وكيف يشعر عندما تذهب أنفاسه وأمسك يديه! أشعر أنه أنا ولا أجد يديه لتمسك بي، وضعت يدي على صدري، وبكيت مردّدةً أسفي مع دموعي المنهمرة..

(أسفة والله يا مازن)

(أسفة.. حقك عليًا)

وعدتُ إلى نومي القلق وحلمتُ به.. كان هادئًا ينظر إلى ولا يحدثني، ولا يبحث عني! فقط ينظر إليّ، وعندما أردتُ أن أقرب منه رجل، لم أعد للنوم مرة أخرى بعد هذا الحلم، انقبضتُ أنفاسي كثيرًا وعكفتُ أبكي حتى أغشيتُ عليّ.

صحوْتُ وحملتُ حقيبي وجيتاري وملتت أشياءي وهرولت إلى الشوارع؛ أبكي..

انتظرتُ بمحطة القطار لكي أعود أدراجي إلى القاهرة، ولكني تذكرت ما حدث مع أمي، وكيف استطاعت أن تخفي عني ما يخصها بهذا الشكل؟! وتكرار محاولاتي لمعرفة كيف استطاعت أن تخفي عني هذا الأمر، ولم أعد أعرف معها الحقيقة، والأكثر من ذلك.. الثقة، لا أستطيع أن أعود باكية إلى أحضان أمي.. ولا إلى مازن، لقد جرحته كثيرًا برفضه حبه لي، ولا أعرف إن كنتُ أحبّه حقًا أم لا أريد أن أخسره، أخشى فقدانه ولا أريد أن تسوء الأمور بيننا؛ فهو صديقي، فهل عندما نصبح حبيبين سيكون كما هو معي؟! وإن لم نستطع؛ سأخسر الاثنين.. حبيبي وصديقي معًا!

لم أستطع أن أسافر، وعدتُ إلى "الموتيل" جامدةً كالأموات، أريد أن تنتهي الحياة.. أن تنطفئ هكذا كما تنطفئ الأنوار جميعها بهذا المكان، وأن أنام.. أريد فقط أن أنام!

## -مازن-

ساعات تمر بعيني مرور الكرام..

فقد مرّت ليالي ثقالٌ عليّ، لم أعتد غيابها منذ زمن بعيد، ولم أعتد أن ترحل عني الأقرب إلى نفسي، بل والأقرب إلى روحي.

برجيلها هذا أكادُ أن أُجنَّ.. أن أفقدَ قدرتي على قبول الحياة؛ ففي الحياة بالنسبة لي، لم أدرك هذا الأمر إلا مؤخرًا جدًّا، أختنقُ في هذا المكان.. منزلي، وهي كانت ملجأً ومتنفسًا، لقد تحملتُ الصراع الدائم والمستمر بهذا المنزل، وإرادة أمي أن تُثبتَ لأبي أنها أحسنت تربيته، وأني لستُ كباقي أبنائه الآخرين، وأن التحاقِي بكلية الهندسة انصياعًا لرغبته هو وليس لرغبتي، لم يكن لي إرادة في أي شيء إلا بضع ساعات أهرب فيها إلى فتاتي، والتي شاء القدر أن يجمعنا سويًا في نفس المدرسة، والأكثر إرباكًا تجاوزنا في نفس الشارع لا يفصلنا إلا بضع عمارات، كان لنا ملعبًا وممرًا إلى عالمنا الخاص بشارع منزلنا المُشجّر، كنت أراه دائمًا أجمل شوارع المعادي، بل أجمل الشوارع على الإطلاق.

عندما تعطلت السيارة التي تقل ديلارا إلى منزلها للمرة الأولى اضطرت إلى ركوب "باص" المدرسة الذي كنتُ فيه.. ورأيته، ومنذ هذا اليوم ونحن نعود سويًا إلى المنزل، ونذهب معًا كل يوم صباحًا مع أحاديث كثيرة نتذكرها جيدًا؛ فقد حُفرت في ذاكرة بيضاء نقيّة لا يحوها أثر السنين، لا ننساها، وإن اعتقدنا أننا نسيناها تأتي إلينا في تفاصيل حياتنا الصغيرة؛ فلا تركنا ذكريات الطفولة وإن تركنا الزمن يحولنا إلى نسخنا الجديدة؛ فهي رفيقة لنا وتبقى بقلوبنا ما حيننا، وربما تصنع منا ما نؤول إليه فيما بعد!

تعددت محاولات اتصالي بعاليّة، ولكنها لم تعطي لي الأمل كما أردتُ في معرفة إلى أين سافرت محبوبتي؟ ولم لم تعد إلى الآن؟! فالأيام تمرّ وأزدادُ أنا جنونًا معها.. وإنهاكًا، كما أن والدتها لم تتحمل الأمر

كثيرًا وسافرت لدى أحد أقاربهم؛ لتبحث عن أمل لإيجاد ابنتها وعودة الحياة إليها، كما كانت مشرقة بضوء شمسها ديلارا، وهو أحد معاني اسمها، ولتعود هألتي البيضاء؛ لتنير دربي بعد كل هذه العثرة، بدلًا من أن تترك لي الحيرة والارتباك معًا.

## -ديالارا-

(ماذا فعلتُ لتتجاهلني بمثل هذا القدر؟!

لأجذك دائماً تهرب مني!)

كنتَ تفعل بي هذا عامداً، ولكني فجأة دون أن أقطعَ تواصلِي  
معك أرسلتها إليك في رسالتي؛ لأذكرك بما كنتَ تفعل بي عندما  
احتججتُ إليك في أشد أوقاتي.. تركتني!

هل يترك المحبُّ محبوبه؟! وهل تتركني بعدما وجدنا بعضنا بعضاً  
كما كنتَ تقول لي! أم أنكَ لم تجد لسؤالي هذا المبرر الكافي!

قبل صراعي مع أُمي وتكرار طلب مازن لي أن أفكر في الزواج، لم  
أردُ ذلك... لقد كنتَ خائفة جداً، ولم أعرفِ لِم؟! ولكني كنتُ أشعر  
بانسلاال الحياة من بين يدي، وأن حريتي التي أردتها تعبت بالهواء  
حولي، وتنظر لي شامته بي وتقول لي يا حمقاء!

وأنا كالعصفور الأبيض بداخل القفص؛ أتطلع لها في شوقٍ شديد؛  
لأجذكَ معي بداخل قفصي تعرض عليّ أن نكمل حياتنا بهذا القفص؛  
فتجمدتُ مكاني، أريدك.. ولكني أريدها قبلاً.. أريد جناحاي.. أريدهما  
أن يحلّقا.

أريد أن أرى الشمس قريبة من عيني، وأن تلمس الريح أجنحتي،  
وأن يخفق قلبي حباً وشوقاً وحرية، ولهذا لم أُجيبك... وترددتُ، وظهر  
تصرفي لكَ بأني لا أريدك؛ فتركتني، ألمني أن أحتاجك مع مفاجأتي  
بزواج أُمي وإخفاءها هذا الأمر الجلل عني، وأني أمرٌ بصراع من فقد  
الثقة في كل ما يحيطني، وبحثتُ عنك.. ولم أجذك، هاتفتُك  
فتجاهلتني، طلبتُ لقاءك مراراً فلم تكن بجواري؛ حتى فاض قلبي  
منك.. هكذا فعلتُ.

## -مازن-

(ماذا فعلتُ لتتجاهلني بمثل هذا القدر؟!

لأجلك دائماً تهرب مني!)

تكرّر سؤالها بذهني... وأعدتُ قراءة رسالتها السابقة لي.

لم أُرِدْ أن أفعل ذلك، ولكنه الكبرياء جعلني بهذه الحماقة، كنتُ أراك أمامي ولا أستطيع أن أبوح أكثر من ذلك، أراك جميلة.. رائعة، وأريدك.. أريد أن أكون بالقرب منك، ولكنك مع كل حي لك رفضتي، لم تكن الكلمات هي السبب، بل كنتِ أنتِ بتوترِكِ وفقدانِكِ لأجمل ما كان بيننا، لصداقتنا عبر هذه السنوات.

وجدتُني أخسر صديقتي وحببتي أيضاً، حتى عاد الخوف يمتلك قلبي مثلما حدث يوم أن وقفتُ وجهًا لوجه مع أبي...

مازن:

- أنا مش عاوزها!

- انت أصلاً مالكش في إنك تقول تعوز إيه وماتعوزش إيه! فاهم؟!

خلص الحوار.

- يا بابا أنا مش عاوز هندسة.

- انت عاوز إيه؟ ها.. قول!

- عاوز أدخل فنون جميلة.

- وتبقى إيه؟! رسام؟! عاطل؟! ولا حتة مدرس؟! انت عاوز تهزأني

قُدّام الناس؟

ثم مشيراً لأمي مستهزأً بي:

- هو دا ابنك اللي قولتيلي بيضمهم وفالح لمستقبله!

أمي:



## -ديالارا-

بينما أعبثُ بهاتفِي قراءةً لرسائلنا معاً وجدتُ أغنيةً أحببتها معك،  
تم تشغيلها تلقائياً حتى اضطربَ قلبي حينها، أغنية أحببتُ لعبها على  
جيتاري

(Ed Sheeran Photograph).

loving can hurt sometimes. Loving can hurt  
But it's the only thing that I know!!  
you know it can. When it gets hard  
get hard sometimes  
It is the only thing makes us feel alive  
We keep this love in a photograph  
We made these memories for ourselves  
Where our eyes are never closing  
Hearts are never broken  
And time's forever frozen still

وعندها قمتُ بفتح ملفات صورنا معاً، تسلّلت دموعي رغماً عني.  
فهي دموع حنيني لضحكاتي معك، كيف يمكن أن نكون بتلك  
السعادة يوماً ونكون الآن بهذا القدر من التعاسة؟!  
لِمَ هذا التألم والإحساس بأن الحب يمكن أن يدمّر كل ما كان  
لدينا معاً؟! ابتسامتك التي أعشقها.. لمعة عينيك عندما تنظر إليّ، أو  
عندما تصحّح لي بعضاً من كلماتي، أو عندما أقوم بإغاظتك؛ فتبتسم  
واضعاً لسانك على طرف أسنانك.  
أعرفُ أنها طفولتي الشديدة التي استمرّت لأعوام، ولكني أحبك  
الآن، وبدخلي أنثى تعشقك، وضعتُ يديّ على قلبي، حقاً لا أستطيع

ذلك! وذلك البكاء الممتلئ بعيني عليه أن يتوقف.. أن أجد ذاتي أولاً  
وأعود، أعدك أن أعود إليك وليس بعضاً مني.. أن أكون معك بكاملتي..  
بكل ما في.. بجنوني وهدوئي معك، أعود إليك بطفولتي ونضجي.. بما  
يجعلني ما أنا، وليس كما تعرفه فقط عني.

## -مازن-

ديلارا..

أعرفُكِ..

ولهذا أحبُّكِ..

تذكرتُ حديثها في خلافتنا الأخيرة، وأني لا أعرفها، ولكنها لا تفهم..  
أني أعرفها جيداً؛ فهي روح وقلب يتشكّلان بداخلي.. فكيف لا  
أعرفها؟! أرواحنا تعارفتُ من قبل.. من قبل أن نُولد، وجئنا لهذه  
الحياة معاً، فكيف يمكن أن يعرف أحدنا الآخر بهذا القدر  
والإحساس؟! فأنتِ بداخلي، وإن لم أجدكِ؛ لعكفتُ العمر بأكمله  
أبحثُ عنكِ! وبكِ أشعر بالاكتمال، ولكنه الفراق! وهكذا يبدو كما  
افتترق آدم عن حوائه، عليّ أيضاً أن أجتازَ هذا الاختبار.. بعد أن  
التقينا معاً على هذه الأرض.

علمتُ أنّ هذا سيحدث يوماً ما! وشعرت بذلك، وكنتُ أخشى منه..  
أن نفترق، وأن يعبثَ بنا القدر! حسناً.. إنه ليس القدر، بل هو  
الاختيار بأن يمضي كل منا إلى أرضٍ حيث يجد ذاته، ومن ثم نعود إلى  
بعضنا بعضاً! هكذا أتمنى!

كنتُ أعلم أنه سيحدث يوماً ما؛ فلم أكن بهذا التفاؤل نحو هذه  
النهاية، ولكنها حماقة مني أن أحاول تغيير ذلك؛ فقمْتُ بتعجيله..  
فهربتُ مني، فأنا من قام بذلك، بدفعك عمداً لتبري من قربي الشديد  
واندفاعي نحوك؛ حتى لم تتمكّني من الاستمرار في لعبتي الخاصة؛  
فتوقّفنا الآن.

وها هو هدوءٌ لم نلّه منذ عقود عديدة، وها هي نبوءتي قد أتت..

وتحقّقت!

## -ديالرا-

توجهتُ نحوه في ثباتٍ وعيناى تشعان بالطاقة والتفاؤل، ظل ناظرًا لي في تقدُّمي هذا وعيناه تلمعان في إعجاب شديد، وأطفأ آخر سجائره، وقطعتُ عليه تأملَه بي الذي زاد عن دقائق منذ جلوسي أمامه.. وغرقي في زرقَة عينيه أيضًا، وتحدثت إليه...

ديالرا:

- أنا موافقة.

يوسف:

- طب ما أنا عارف.

- ازاي يعني! عارف؟!

- أمال جايَه وشكلك كدا عشان تقولي لي لا؟! ولو قلتي حتى لا..

ماكنتش هسيبك!

- يعني من ساعة ما شوفتني داخلَة عليك عرفتُ إنى موافقة على

إنِّي أبقى معاكم في الفرقة؟!

- لا.. عرفتُ من أول ما كلمتيني! من صوتك.

- كمان.. اممم طب إيه؟ هنعمل إيه دلوقتي؟

- أبدًا يا ستي.. هنشرب حاجة بس وأخذك لمكاننا الخاص.

- نعم؟!

- هي دايماً ردودك كدا؟ بتفصّل؟!

- لا والله.. بس يعني إيه مكانك الخاص؟!

- بقولك مكاننا! يعني بتاع الفرقة بتاعتنا -زي استديو كدا-

هيعجبك جدًا، أو ابقى شوفيه الأول وقولي لي رأيك، ها تشربي إيه؟

- تمام جدًّا.. نحتفل بقى، يبقى.. أيس كريم.

- هههه تمام.. بس كده؟!!

ابتسمتُ ليوسف، وشعرتُ أنه ينمو لي جناحان صغيران! وأن صدري لم يعد يتحمل دقات قلبي؛ يريد أن يتعجّل بالرحيل إلى الاستديو.. إلى المغامرة.

أخذني يوسف وأمسك بيدي، لم أعرف ماذا عليّ أن أفعل حينها! فسحبته ببطءٍ، ورفع عني الجيتار فلم أعطه إياه وأمسكتُ به بشدة، كأنما يأخذ مني قلبي وليس جيتاري! فضحك على ردّة فعلي قائلاً:

- طيب شيليه انتي بنفسك.

- طبعًا.. دا روحي!

وعندما خرجنا من الكافيه وجدته يقف أمام الباب؛ ليوصلني، ولكني لم أتوقع ذلك.

تسمرت مكاني في دهشة!

## -مازن-

وقفتُ أمامها ولم أستطع ان أنطق حرفاً، عيناها تعاتبني وشعوري نحوها، هذا الخذلان الذي يسري بداخلي مسموم، ولا أستطيع أن أخرجَه مني، وإن اضطررتُ أن أبتلع هزيمتي هذه.. لن أستطيع، حتى تحدثتُ وقلبي بداخلي يتمزق.

أم ديلارا:

- هي ماكلمتكش خالص يا مازن؟

مازن:

- أنا آسف والله، حقك عليّا.

- أنا مش عارفه أعمل إيه؟!

- بس أنا متأكد إنها كويسة.. ومش عاوزك تقلقي، وأنا لسّه هدور

عليها تاني يا أمي.. صدقيني.

- مصدقك يا مازن.

- بس أرجوك ماتسهاش يا ابني.. ربنا يقوينا على القلق ده.

- حاضر يا أمي.

أكثر ما أمقته هو الشعور بالعجز، كلما طاردني شبحُ أبي أشعر بالعجز في كل موقف لا يمكنني أن أغيره، أو أن أقوم بشيء ما، حتى يأتي شبح أبي، أراه يحوم حولي وتتجمد أطرافه، وتثبت قدمي بالأرض كجذور ممتدة بها، ويتهاوى قلبي نحو قدمي؛ فتتجمد الصورة بعقلي ولا أتحرك خارجها، مرّت الأعوام وما زالت هذه الصورة بداخل عقلي.

تركتني أم ديلارا على وعدٍ مني أن أجدها، هكذا كما وعدتها منذ

أيام عديدة ولم أف بعهدي معها، حتى صارت كلماتي الخارجة مني تشبه المسكنات التي اعتاد عليها المريض؛ ففقدت مفعولها، تُشعرك

فقط بأمان مؤقت؛ حتى يعود الألم مجدداً لينهش عظامك ويفتت

روحك لأجزاء هاوية، أخذتني قدمي إلى جوار النيل، مكان اعتدنا أن

نجلس فيه، وجلست في صمت أفكر؛ لعلني أجد ضالتي.

## -ديالرا-

تعجبتُ ونظرت ليوسف في دهشة طفلة صغيرة وجدت اكتشافاً  
عظيمًا أمامها، ابتسم يوسف لبراءتي واندھاشي.

يوسف:

- يلاً اركبي.

- أركب إيه؟!

- يلاً اركبي هنروح بالموتوسيكل بتاعي!

- دا بجد؟! لا أنا بخاف، ولأ أقولك مش هخاف خلاص! يلاً.

ضحك يوسف لترددِي الطفولي، ووضع لي خوذة صغيرة أصبحت  
مضحكة أكثر عندما وضعها حول رأسي، وشعري الكثيف يخرج حول  
وجهي، وشفتاي الملتوية في طفولية!

ديالرا:

- لا كدا شكلي يضحك بجد!

- وزيي كدا.

كأتمًا ضحكة مداعبًا شعري الطائر، وهو يقوم بتثبيت الخوذة  
جيدًا، شعرت حينها بوخزٍ بأناملي، ولم أبدأ أي رد فعل كما ظننتُ أن  
أفعل، وركبتُ خلفه ويتملكني شعور رائع بالحرية.

يوسف:

- امسكي فيا كويس، ومش عاوزك تتحركي أي حركة مفاجأة.. أي

حركة هتتحركيها محس بيها، اتفقنا؟!

- اممم حاضر.. ماتقلقش أنا بسمع الكلام.

الشعور الرائع الذي يأتي إليك دون مقاومتك؛ إحساسك بالتسليم  
"I let it go" .. تهيدة صدرك، إن كل مشاعرك السابقة وما يأتي لا  
تفكر به.. هي اللحظة، اللحظة الحالية فقط! وضعتُ يديّ حول

خصر يوسف كما طلب مني.. ترددتُ في البداية، ولكن مع أول انطلاقة أمسكتُ به جيداً، وهو لم يترك تلك اللحظة أيضاً دون أن يزيد من سرعته؛ كي أحتمي به ولا أتركه؛ فحضنته!

نظرت حولي.. الشوارع يلتمها يوسف بطريقته الخاصة: لإثارة إعجابي بسرعته، ولكني لم أبُد أي اعتراض، كنت سعيدة جداً.. قلبي يكاد أن يتوقَّف من الخوف مراراً، ولكني سعيدة.

إن مشاعر الحرية التي أتت لي بعد سنوات طويلة من الانتظار تحيطني بذراعها وتشجعي أن أحيها، وعندما توقفتنا.. قدماي لم تُعد تريد أن تعودا إلى الأرض الثابتة مرة أخرى، شعرتُ أنني سأفقد توازني، ولم يترك يوسف يدي حتى انتهت أنني أقف إلى جواره لمدة ما.. مغمضة العينين، ولكن بلحظة صمت شعرتُ بوخزة ألم، وتردد اسم مازن بعقلي؛ فتركت يد يوسف في رهبة شديدة.

## -مازن-

أكثرُ ما يرهقُ هو الخوف.. الخوف من الخسارة، الخوف من التألم، الخوف من الرفض، لم أكن أخشى منها بل من نفسي، من هواجسي الكثيرة حول الحب، حول الألم، حول الهجران.. إن لم تكن الإجابة مُرضية، لم يكن يعني أمر الزواج، بل كل ما كنت أريده أن تبقى معي دائماً.. أن لا ترحل.. أن أكون رَجُلها دائماً، كما كنت أفعل منذ صغرنا.

أتذكر يوماً بمدرستنا تعرضت فيه ديلارا لظلم من إحدى المدرسات، وتلقت عقاباً بالخطأ عن فتاة أخرى، ولم تُبدِ هذه الفتاة أي ندم على فعلتها، أتذكرُ تألم ديلارا وبكاءها وهي تنتظر أمها، التي ما إن علمت بالأمر حتى وبّختها توبيخاً شديداً ولم تصدقها! وظلت باقي الأسبوع في المدرسة لا تريد أن تتحدث إلى أحد.

كنت أشعر بالغضب الشديد، ولم أترك هذا الأمر حتى جعلتُ الفتاة المخطئة تعترف مُدرستنا عن خطئها، وقيام المُدرّسة بالاعتذار لديلارا، وهذا لم يكن كافياً لي؛ بل جعلتها تُقوّم بالتوضيح لأمّ ديلارا أيضاً، ورغم صغر سني حينها إلا أن هذا جعل ديلارا سعيدة جداً، سعادة تغنيني عن الحياة بأكملها، كنتُ يومها لا أمشي على الأرض، لقد كنت بطلاً خارقاً لفتاتي وهي تمشي إلى جوارِي وقد عادت لها ضحكها ومرحها المعتاد.

أريد هذا، ولكن ما حدّث بيننا من مشادات جعلت قلبي يخرج من صدري ولا يسعني؛ فأهرب منها وإلها، ولا أجد راحةً ولا طريقاً لأقوم بإصلاح ما جنيته بنفسِي من تدمير ما بيننا من صداقة.. وما جنيته بقلبي!

## -ديالرا-

شعرتُ بالسعادة لتجربتي الأولى للركوب خلف يوسف وهذا التحليق، لكن بداخلي يتفاقم هذا الشعور، الحيرة والتردد.. مَرَضِي المزمّن، أن أعرف ما أريد وما لا أريد وأقف بينهما، وتأتي إلى جميع الاحتمالات الجيدة والسيئة معاً، فلا أختار شيئاً في حالة تردد، وقد أقوم بوضع الاحتمالات الأسوأ أحياناً إن اقتضى الأمر: حتى أهرب من نفسي.

عرفتُ يوماً من صديقتي عالية أنني برج الميزان، وهذا سبب ترددي كلما عملنا بأحد الأبحاث أو اختياراتنا معاً، ولكني كنتُ أهرب من هذا بمرّحي وسذاجة تلك الأحاديث!

وها أنا أقف ثانية في حالة تردد، وأريد أن أخطب عالية وأحكي لها عن يوسف، وعن مغامرتي وجيتاري وبروفات الفرقة بتلك الأسابيع، ولكني لم أقدِر على ذلك؛ خشيتُ أن تُعلِمَ مازن بمكاني، أو أن تخطئُ بتلميحي ما.

وعندها تذكرتُ يوسف ومازن معاً واختلافهما الشديد، جديّة مازن على الرغم من صغر سنه وكم هو خجول! وشخصية يوسف الأكبر سناً ووسامة والأكثر جراءة.

ولكني كنتُ أتردد منذ صغري في مشاعري، ولم أكن أهتم بالعلاقات؛ فقد كانت الصداقة لي أحبّ من تلك التعقيدات، ولكن عندما يتحوّل إعجاب أحدهم بي إلى استلطاف حقيقي؛ أقع في رهبةٍ وتوتّر.. وهروب!

قد أخفي هذا بملامحي المرحة، وابتسامتي الدائمة، وبغمازة وجبي الوحيدة التي تعجب الجميع، ولكن بعقلي يدور الكثير من القلق والخوف من الحب، ربّما! أو الفقد!

وها هي مشاعري في حالة تردد بين مشاعري لمازن صديقي ورفيقي، وما أشعر به نحو يوسف، تمرّ الأيام معه حقًا جميلة، وأشعر معه بالأمان الذي كنتُ أبحث عنه منذ فترة طويلة... نخرج كثيرًا، نتمسّئ ونتحدّث.. ونعزف سويًا، لقد كان أمرًا مختلفًا منذ اليوم الأول الذي ذهبْتُ معه إلى الاستديو، يهرني بما يعرفه من ثقافة وعن الفن والكتب، لم أكن أعتقد أنه يعرفها بهذا الشكل كَشَابٍ وسيم يبدو منه أنه مُلْفِتٌ للفتيات وكثير العلاقات، ولكنه أيضًا ذكي جدًا وموهوب بعزفه معي؛ فهو رائع وإحساسه كذلك.

جعلني أنتظر كثيرًا ولم أسمع صوته بعد، ولكني علمت من أصدقائه أن صوته رائع أيضًا، لم أسمعته حتى الآن، ولا أعرف لِمَ يُبْقِي في حالة ترقب لما يجيده ويحبه؟! ولكني أستمتع بهذه الحالة من الترقب والكشف عن ما هو غامض وجديد في شخصية يوسف.

أشتاق مازن كثيرًا، أشتاق أن أحكي معه عني وعن ما أمر به من تجربة، ولكن فجأة أشعر بوخزٍ في قلبي؛ فألملم هذا الألم بنفسي كما ألملم شعري الكثيف، وأربطه في توتريلفتُ انتباه يوسف لي.

وأحاول أيضًا أن أبدو قوة، ووقوفي أمام المرأة وفي انتظاري يوسف بعدما انتقلتُ لمنزل صديقتي "إكرام" الفتاة المغربية، وتركت "الموتيل" بعد أيام، وإقناع يوسف لي لِمَ يَحْتَجّ وقتًا طويلًا.

إكرام:

- الملابس الجديدة عليكي جُلُوبين بالزاف.

ديلارا:

- أول مرة ألبس ملوّن كدا! بجد حلوين؟

- هينطقُوا عليكي زيّ ما بتقولوا بالمصري ههههه.

- فرحتيني.

- يلا بينا بقى على الاستديو؟

- مزيان.

- أيوه بقى.. تمام.

رفعتُ شَعْرِي عَالِيًا وَأَنَا مَرْتَدِيَةٌ مَلَابِسٍ مِنْ اخْتِيَارِي مَعَ بَعْضِ  
المساعِدة، ولكنّها تسعدني! تشبه غجرِيَّتِي، وحملتُ جيتاري إلى  
الاستديو، إلى حياتي الجديدة والحرية التي اخترتها، وصارت لي أخيرًا.

## -مازن-

تجمّدت المشاعر بداخلي، وصارت كجبلٍ ثلجيٍّ لا أستطيع أن أزيحَه  
عن صدري.. تتناقل عليّ، وتتناقل معها الأيام، تمر بشيء من البطء  
والبرودة والظلام أكثر من ليالي هذا الشتاء البادئ بغياها، مررتُ بكل  
الأماكن التي جمعتني بها، ولم أجدُ في وجوه المارّين غير عبوس وجبي  
وملامحي الرثّة، وعينيّ الخاويتين من كل تعبير وحياة.

عبرتُ الشارع، وعبرتُ حولي السيارات كعبور الأزمنة الماضية منذ  
أن رأتك عينايا يا فتاتي! توقفتُ وتوقفتُ أمامي إحدى العبارات،  
ظننتُها أنتِ قادمة لتسحي يدي، ولكنها فقط مرّت إلى جوارِي وأدارت  
عينها عنيّ في استهجان؛ فعدتُ أكمل طريقًا لا أعرف إلى أين قد  
يأخذني؟! الشارع صار مُظلمًا لا أميّزه، ولا أجد منزلي بهذا الحي الذي  
جمعنا سويًا لسنوات طوال.

ولكني وجدته بعدما دُرْتُ حوله لبعض الوقت، وجاهدًا في التهرب  
من أُمي وتعليقها على ملابسي وذقني الطويلة وإهمالي لطعامي، دخلتُ  
غرفتي وأغلقْتُها عليّ ليعود ظلامها الهادئ، ووضعتُ جسدي في الركن  
الأكثر ظلمة بغرفتي؛ حتى غاصَ جسدي بين قدمي، واستحال الكون  
إلى ظلام وومضات بعقلي الشارد؛ فرأيتُك تقفين وحدك بنوركِ  
الخاص مرتدية ثوبًا من نجوم مضيئة مبتسمة بغمازتك المحببة لي،  
كم أنتِ بعيدة عني كنجمة بسماء! أريدُ أن أمدّ يدي إليك ولا يمكنني؛  
فتلاشِي كل شيء وانطَفَأ، وعدتُ إلى ظلامي الخاص.

بينما لا أجد مني مفرًا أو خلاصًا أردتُ أن أراك كما رأيتُك في رؤيتي  
تلك، عدتُ لنور ضئيل بالغرفة رافعًا عيني باحثًا عنه، وجلستُ على  
مكتبي بإضاءة مصباحه الصغير، أخذتُ أقلام الفحم المرصوصة على  
مكتبي وبدأتُ في تشكيل شعركِ الفحمي الكثيف على الورق، وعيناكِ

السوداء اللامعة، أحفظ ملامحك عن ظهر قلبٍ لم يفقد ذاكرته  
الخاصة بتفاصيل من أحببت، ولكل شيء بك رائع ونقي.

طالما أخفيت أقلامي ورسوماتي عنك، ولكنها الآن لا تستطيع أن  
تبقى بداخل الأدراج؛ فهي تعطيني بعضاً منك بما تخطه يداي، وإن  
الصور وإن كانت بكامل الملامح لا تكتمل، ولن تلمسها يداي مثل  
رسمك!

وهكذا مرّت أسابيع بمنزلي.. أهربُ من عالمي الخارجي لرسوماتي،  
أضع مشاريعي جانباً وأنتهي منها، والألوان وأقلام الفحم هي ملجئي،  
وغرفتي هي مرسمي، وعيناي هي نافذتي على هذا العالم وهذه الحياة،  
حتى هدأ عقلي كثيراً وبدت الحياة أكثر هدوءاً واحتمالاً. ليست  
مكتملة، ولكنها تمضي أقل ألماً وسكوناً!

## -ديالارا-

تمايلَ جسدي مع الموسيقي، دقائقٌ قلبي تزداد مع الطبلية، وضعتُ  
يديّ على جيتاري وبدأت بالعزف لأول مرة أمامهم، شعرتُ بالخجل،  
ولكني بعدها شعرتُ أنني أعرفهم منذ فترة طويلة؛ فانسجمت، بدتُ  
نغماتي رائعة متجانسة مع ألحانهم المختلفة.. مع أغنية ل LP

(Lost on You)

saner، plainer، When you get older

When you remember all the danger we came from

tender، falling، Burning like embers

Long before the days of no surrender

Years ago and well you know

أغمضتَ عينيّ وتسارعت أنفاسي وموسيقي، ولم أشعر أنهم  
توقفوا جميعاً عن العزف وأني أعزف وأغني وحدي! فهي إحدى  
أغنياتي المفضلة لـ "LP"، حتى رافقني صوت رائع! لم أكن أدرك أن  
يوسف لديه هذا الصوت، وعيناه تنظران لي بإعجاب شديد مشجعاً...  
اندمجنا معاً، وأكملناها سوياً..

To all the things I've lost on you

Oh oh

Tell me are they lost on you

Oh oh

وعندما انتهينا كانت نبضات قلبي تقفز خارجي، وعيناه المشتعلتان  
وشفتاه مع اللحن والكلمات، وجسدي تجمد لوهله، للحظة لم أعد  
أشعر بشيء غير السعادة الحقيقية.

عيناى لم تتوقفا عن النظر إلى يوسف، وتعلقت عيناه بي أيضاً،  
لكننا انتهينا بسبب ضحكاتهم وصريرهم؛ فاستيقظت من حالتي

المنتشبة وخجلي الذي ودعته قَبْلًا: فقد عاد إليّ، بل وزاد توتري؛  
فأسرع يوسف لي مبتسمًا:

- بس بس يا جماعة.. نهدي شوية بقى.

جوي:

- أيوه خلُّوها تاخذ نفسها!

إكرام:

- يا الله على جمالكم!

ديلارا:

- يوسف هو اللي غتّى حلوقوي.

يوسف:

- عشان تعرفي بس، يعني مش عيوني بس اللي حلوين!

إكرام:

- هههههه إيه الثقة دي؟!

ديلارا:

- نعم؟ تقصد إيه؟!

يوسف:

- لا ماقصُدش حاجة.

جوي:

- طب يلا بقى هنروح ناكل يا جدعان.

إكرام:

- إي والله جعانة بالزاف.. يلا.

بيشو:

- أؤيد.. يلا بينا جدًا.

عدتُ بعدها مع إكرام للمنزل في حالة سعادة ومرح لم أشعر بها  
منذ صغري، منذ فترات طويلة جداً، منذ أن كان معي مازن نحارب  
الكون ونرسم ونلوّن الحياة بخيالنا الخاص؛ حتى صار كل شيء بيننا  
يشبه الثلج، ولم أستطع أن أفعل شيئاً.

## -مازن-

تدهورت حالة أُمي الصحية فجأة، ولم أع أيامي فيما تأكلت، ولا أدري عن نفسي شيئاً، غير أنّ أفضل ما كان لديّ لم يعدّ معي، وأنّي أُعطي أفضل ما يمكنني فعله، وإن لم يكف! فما استطعتُ، وهذا الأمر نافذ لا محالة، مرّ شهر على فراقها ولا أعِي ما فعلتُهُ به من مشاوير الجامعة والمَشْفَى والوَحدة بمنزلي، والذهاب لأخواتي الصغار وإعطائهم ما يكفي من مصروفات وسماع شكاوى لا وقت لها، دون الترفق بي.

مرّ الشهر ثقيلًا لا يحوي من البهجة شيئًا، كما أني صرْتُ خاويَ القلب، أو ربما ما تحطم مني! لم يبقَ لي من قلبي شيئًا، توقفتُ عن عِنادي وانكسر كبريائي كثيرًا في هذه الأيام، لم أكن وحيدًا بل تائمًا! ما قد فعلته بتلك الأيام؟! ولأول مرة منذ سنوات وجّهتُ وجهي إلى الله ساجدًا.. سجدتُ بكل ما فيّ من انكسار ولَوْعةٍ وألم، وعلتُ أهاتي إلى عنان السماء، وتسَلّلت دموعي من عينيّ إلى سجادة صلاتي في هدوء وسكينة الحزين المنكسر.. سجدتُ وابتهالات لسنواتٍ مضت، وعمر لم أُعط فيه ما يكفي من صلوات، لطالما كنتُ أشعر أن الله معي، ولكنني الآن أريدُ القرب كثيرًا.. أن لا أقف وحدي، وأن أترك ما أرهقني من هموم خلفي.

فبكيّت وبكيّت حتى فاض صدري بكل ما فيه وأُنهِك جسدي؛ فرأيتني حينها اثنين؛ فجلستُ إلى جوارِي أراني بعينين أُخريين!  
ما هذا الذي آل بي! أهو الحب أم الولع؟! أهو الشوق أم الشجن!  
أهي نسيّتي أم أنني نسيّتها؟ فعادت لي حين علمتُ بضعفي، وأن قوة الأقدار أقسى مما أتحمّله!

فوضعتُ كفيّ على كتفي كأبٍ تركني منذ أعوام بعيدة أخفّته عني حتى نسيته، زحف إلى وجه أبي في ملامحه الهادئة، وصارت صورته أمامي.. واضعًا يده فوق كتفي مهبطًا لروح ما بي، كنت أهرب منه،

ولطالما هربت! ولم أُرِدْ أن أرى وجه أبي حتى بالصور؛ حتى لا أتذكر ما فعلته، ونسيت أن موته لم يكن غير عُمُرٍ قد كُتِبَ وأجلٍ قد حان! ظننْتُ دومًا أنني السبب، ولولا ما فعلته معه لكان حيًّا باقياً.

زادت تهديدات صدري ونحبيي، ويد والدي لا تزال فوق كتفي صامتًا حتى أهدأ؛ حتى ذابت الصورة تمامًا ورحل، شعرت به.. بحضوره، وأن الله بعث لي هذا الشعور ليُخرج الألم المتشبَّث بداخلي خارجه، أخيرًا بعد تلك السنوات العجاف، وأن أغفر.. أغفر لأبي رحيلاً المبكر عني، وأغفر لي فقدي إياه، وخطأ غير مقصودٍ وعمراً قد مضى، وروحاً عادت لبارئها وهو مستودعها، ونعم المودع ونعم المصير!

## ديالارا-

عدت فجأة إلى القاهرة..

لم يعرف عني أحد، خاصة مازن وأمي، لقد شعرت أن شيئاً سيئاً قد حدث.. أحلامي لا تكذب عليّ، منذ صغري وأشعر بهذا، وعندما عدت علمت من صديقتي عالية، وعرفت منها بمرض أم مازن "طنط صفاء".

كنت أشعر بالألم والخوف؛ فقد رحلت عنه.. عن صديقي، وهو الآن وحده ويحتاجني! ولكنه لا يراني ولا يعرف عني شيئاً!

بل وساءت أحواله وأحوال أهله، كنت في حالة ضبابية، أريد أن أعود إلى الإسكندرية ولا أستطيع، وأريد أن أبقى ولا أجد غير أبي أفقد ذاتي مجدداً!

ذهبت إلى المشفى ورأيت أمه بالعناية المركزة، بكيت على حالها وتدهور صحتها، وبكيت أكثر على ما يشعر به مازن حالياً، تركت المشفى متعجلاً؛ حتى لا يراني، وتجولت بالشوارع كطفلة تائهة لا تعرف طريق منزلها! وتريد بشدة أن يشعر بها أحد، ولكنها تخاف من الجميع، وتخشى أن يوبخها من تحب؛ لأنها تركت يده وضاعت، ولم تجد طريق العودة إليه! فأسرعت بخطاي وأخذت ما تمكنت "عالية" من جيبه لي من أشياءي الخاصة لديها، وأعطيتها رسالتين؛ أحدهما لمازن، والأخرى لأمي... وسافرت!

ولكن ليس إلى الإسكندرية، بل لقبر الحبيب وراحي، ولم أعرف غير أن كل طريقي قد سُدَّت، وأريد فقط أن أحدهه وأن أقف أمامه؛ فرحلت إلى أبي، وقفت أمام قبره بالمنصورة، ودمعت عيناي حتى فاضت حد الهزيمة وحد الإشفاق علي!

قرأت آيات مباركة على روحه، وتمتمت بدعوات حفظتها ويومياً كنت أدعوله بها، كنت أحبّ أبي كثيراً، ورحيله كان لي صادمًا وفارقًا؛

فقد كان لي أبًا وحيبيًا! وهل يمكن أن تصِفَ فتاة حُبِّ أبيها لها؟! أبدًا لا تعرف، أو تعجز عن ذلك، وبرحيله عنها يزداد الأمر صعوبة، ولا يسهل أبدًا بمرور الوقت، بل يبقى بالقلبِ جرحٌ لا يندمل.

ولا يكفي رجال العالم أجمع ليحتووا قلبَ صغيرةٍ فقدت أباهًا.. أعظم ما تملك بالحياة، تمتمَّتْ دعواتي وعكفتُ أمام القبر أرجو له وليّ الرحمة، لقد نسيْتُ نفسي وحالي، ولم أعد أعرف إلى أين قد أذهب؟!!

أشتاق الجميع ولا أستطيع أن أعود لأحد! ولكني أعلم أنني في رحلتي، وعليّ أن أجد نفسي وأن أحبها جيدًا، ولكنه الفقد ولم أعد أتحمّله، فقدتُ تلو الآخر؛ حتى صار جزءًا لا ينتهي من قلبي ومشاعري، عليّ أن أتعلّم أن أكون وحدي، ولا أخشى الفقد مجددًا.

لا راحة في رحلة ليس بدايتها النفسُ، وهي البداية التي تجيب كل الأسئلة، وهي الخلاص!

أخذتُ بيدي وأغلقتُ بابًا لم يُفتح منذ سنوات، وفتحتُ بابًا آخر إلى طريق يبدو لي غير واضح، ولكنه الأكثر عمقًا وتفاؤلًا! أغلقتُ باب قبره وفتحتُ لي مع نفسي طريقًا آخر، وركبت عائدة إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية.

## -مازن-

(توقف بي الزمن عند تلك اللحظة التي وضعت عاليتي بيدي رسالتك.. وأخبرتني أنك رأيت أُمي المقيمة الآن بالرعاية ورحلت!!)

توقّف كل شيء.. تلك العدادات بالمشفى ودقات ساعتِي! وتلاشِي كل شيء تدريجيًا أمام عيني، حتى الأصوات صارت صدِي لهوائِ خاوٍ بين جيلين خلفهما أقيفُ أنا، والآخر أنتِ! لا أسمع أحدًا ولا أرى غير تلك المسافة الشاهقة بيننا الآن! وضعتها ورحلت، وأطبق عليّ الحديث والصمت والليل والظلام.

ومرّت ليلتي لا أحدثُ غيركِ! عن ما آل بي وبنا! وهل عبثت بنا الأقدار أم أنه قرارك وقراري؟! أغلقتُ عيني في استسلام متقلب القلب والجسد، بداخل غرفة أظلمت عليّ حتى ضاقت، وأغلقَ عليّ بداخلها.

وعندما انتهتُ لاختناق صدري، وعاد ضيق التنفس لي مجددًا؛ فلم أعد أستطيع أن أخرج نفسًا منتظمًا، أو أن أستجدي أحدًا أن ينقذني؛ رجفت يداي بحثًا عن بخاخة الصدر حتى تلون جسدي واحتقنت عيناي؛ فشعرتُ أنني أعرق، بكاءً أصاب جسدي كله، عيناي وجسدي بأكمله بيكي! وعندما أردتُ أن أنام اعترقَ جسدي بهذا الفراش البارد، وبعدما هدأتُ وخفت رجفات جسدي، فتحتُ رسالتك بمنتهى الحنق واليأس بأني لم أرغب أبدًا بأن أكون بهذه الحالة من الضعف والهوان، وها أنا أريد أن أعرف.. ماذا كتبت إلي؟! أهي إجابتي الراضية؟! ربما عليّ أن أعرف الآن وليس فيما بعد؛ فيتألم قلبي مرة بدلًا من هذا التقلب! ها هي رسالتك، فهلا أخبرتني الحقيقة وأنك لم تحببني يومًا وتركتني بلا عودة!

تزيّدت دقات قلبي مع كلماتكِ القليلة! لم أستوعب حقًا هذا الذي  
كتبته لي، فما حقُّكِ لتفعلي بي كل هذا؟! وأن أجد منك هذا الرد  
الأجوف، بل الرسالة التي لا تعطي ولا تغني ولا تسمن من جوع!

أنا آسفة جدًا... يا مازن..

على كل.... حقُّكِ...

## -ديالارا-

لم أجد غير كلمات قليلة لأكتبها إلى مازن.. لا أعرف ماذا عليّ أن أقول؟!

(أسفة جدًا يا مازن... على كل حاجة.. حَقَّك عليّا!)

(والله كنت عاوزه أبقى جنبك مع والدتك، بس ماقدرتش غير إني أطمّن عليها وعليك)

عدت إلى هناك! لم أعرف غير أنه المكان الوحيد الذي يمكن أن أكون فيه وأريد، ترجّلتُ من القطار ووجدتُ أمامي يوسف بعينيه اللامعتين الممتلئتين بالحياة، وفي مقابلها عيناى الممتلئتان بالدموع، أخذني من يدي دون أن ينبسَ بكلمة، ولم أعترض!

سرتُ معه كالطفلة التي وجدّت أخاها، يمسكُ بيدها فلا تريد غير أن تبقى معه، وإذا رآها تبكي يجلب لها الحلوى حتى لا تحزن!

أخذني يوسف إلى أحد المطاعم الهادئة، واضعًا أمامي كأسًا كبيرة من الأيس كريم فانيليا الذي أحبه، كدتُ أبكي مجددًا، ولكني حينها في صمتٍ ابتسمتُ له، وعلى الرغم من أن كل شيء كان أقوى من درجة تحمُّلي إلا أن عينيّ يوسف تبعثان في نفسي راحة كبيرة، أذابت بداخلي ألمًا خفيًا كما ذاب الثلج في فمي بهدوء وسلاسة، إنه يراني كالطفلة ولم أكبر حتى الآن، أكاد أبكي حُبِّي لمازن؛ لتكرار جملته تلك لي بأني طفلة في عينيهِ! ولكن يوسف لم يترك لي فرصه لتعود العبرات إلى عيني، وعندنا أضحكني بقوله:

- لا دا انتي حكايتك كدا مش هيكفيمها الأيس كريم!

- يعني إيه؟!

- لا احنا نقوم بينا على كبدة الفلاح.

لم أتمالك نفسي من الضحك، وأوقعت على نفسي الأيس كريم؛ لأثبت له طفولتي بحق.

لم أشعر بذراعي الذي أحاط يوسف عندما ركبتُ خلفه على الموتوسيكل، كنت أشعر أن عالمي لم يعد كما كان، وهو الأقرب لما يرتاح له قلبي الآن.. تطاير شعري مع الهواء على الكورنيش، وزادت سرعة يوسف؛ فتشبتُّ به أكثر، حتى وصلنا لمكان بجوار الصخور لنجلس عليه.

صفحات المياه المتخبطة بالصخور في تلونها الفضي وعلوها الهائج تارة والهادئ تارة أخرى، يشبه كثيرًا حياتي المتلونة.. يصيبني الخوف من تقلبها، ولكنها تعود هادئة مرة أخرى؛ فأعود لا أخشى شيئًا معها، يزداد زبدُ البحر تجمعًا، ثم يتلاشى كأن شيئًا لم يكن، هكذا شعرتُ أن همومي ستزول قريبًا.

يوسف:

- ها مش هتحكيلي؟! بس مش هضغط عليك، وقت ما تحي نحكي.

ديلارا:

- أنا مش قادرة أحكي لنفسي يا يوسف! ماتشغلش نفسك بيّا.  
- يبقى مش هتقدري تحكي دلوقتي! خلاص، المهم عندي تبقي كويسة.

- هبقى أحسن.. ماتقلقش.

عاد الصمت بيننا، ولكني شعرتُ أن جبلًا هائلًا بيني وبين من أحب يكبر بداخلي! ولكن مع يوسف بدأ هذا الجبل يصغر.  
نظرتُ عاليًا للسماء وأنوار النجوم اللامعة تنبض بقلبي، أعشق نجوم السماء؛ فهي تشبيني، وعندما غرقتُ بها انتشلتني صوتُ يوسف ودندنة من أغنية.

ديلارا:

- مش عارفة الأغنية دي.

يوسف:

- دي أغنية City of the stars من فيلم La la land .. تحيي  
تسمعيها؟  
- آه أكيد... شغلها كده.

- City of stars
- Are you shining just for me?
- City of stars
- There's so much that I can't see
- Who knows?

ودندنتها مع يوسف بعد تكرار كلماتها والمزيكا..

يوسف:

- عجبتيك؟
- حلوة قوي بجد.

City of stars

Just one thing everybody wants

And through the smokescreen of the crowded restaurants

Its love

Yes. all we're looking for is love from someone else

أمسك يوسف بيدي، ومال نحوي بهدوء حتى لم أنتبه لهذه القبلة  
بعد ما شعرت أن جسدي أصبح خَدِرًا، ولم أعد أشعر بأطرافي، ونظر  
إلى ولم أتحدث؛ فقد كنتُ مغَيِّبةً وجسدي لا أشعر به.. قلبي يخفق،  
وعقلي تجمد.

## -مازن-

شيانان يغيران الإنسان.. الغربة، أو عندما يتألم أكثر من اللازم.  
مقولة قرأتها كثيرًا ولم أكن أوّمن بها حتى وجدتها بداخلها!  
وتذكرتُ مقولة أخرى لجورج روالْت "لا يتألم إلا من كان وفيًا أكثر من  
اللازم".

وعدتُ أكتبُ إليك -كما بدأتُ منذ فترة رحيلك- كلَّ ما خطر ببالي  
لكِ، فكيف أُلقي بسنوات عمري وهي منذ بدايتها وأنتِ معي، منذ أول  
طريق عبرنا به سويًا إلى آخر يوم أَلقيتِ بوجهي كلمات قاسية لا  
تشبهك!

إن أردتُ أن أترككِ ولا أعرف عنكِ شيئًا هل سيكون هذا كافيًا  
لأن أعود كما أنا؟! إنَّ إجابتي أبدًا لن أعود، وإجابتك لن تكون كافية  
أو صادقة! ولكن عليّ أن أكون شخصًا آخر لأيامي القادمة.. أحبُّكِ  
وأعرف أني أحبك، وأترك لكِ حرية لطالما تمنّاها قلبك، وإن لم أكن  
فيها! وإن لم تخبريني بذلك.

فقد رأيتها في عينيك.. في ملامحك الفاتنة، في ولعكِ الخاص بالسفر  
والتغيير.. في تجربة كل الأشياء، من أكلات غريبة وحارة، وأكالات لا  
أتحملها مثل السوشي وغيرها بسبب حساسيتي من الطعام، وكنتُ  
أحاول تجربتها من أجلك، ولكني أشتاق لك.. لمغامراتي الدائمة معك،  
ولأصنَع أيامي بتفاصيل صغيرة، من أول الأغاني التي نستَمع إليها في  
طريقنا للمدرسة، وقصاصات الورق الملونة التي كنتِ تطويها، والكتاب  
الأسبوعي الذي كنتِ تنتظره مني، وإن لم تجدي ما يجذبك بكتبي  
ورواياتي السوداوية كما كنتِ ترينها، وحبكِ للألغاز وقصص المغامرات  
وشارلوك هولمز وكتب أجاثا كريستي بدلًا عنها، والتي أحببتها من  
أجلك.. ولأنها تشبهك! حتى تذكرتُ هذا اليوم الذي خرجنا بمنتهى  
التعاسة من أحد الامتحانات، ولم يكن جيدًا لكينا، وحوّلتِ ورقته إلى

تنين كما كنتِ ترينه، وما زلتِ أحتفظ بما يشبه الطائرات منك،  
وكذلك وقوفك طويلاً أمام الموتوسيكلات واستجدائي لنجرهما!

ديلارا:

- نفسي قوي.

- نفسك في إيه؟!

- نفسي أركبُه يا مازن!

- يلاً يا بنتي بلاش هزار!

- بجد مش نفسك تجرّب كدا؟ عارف.. نفسي أطير كدا من غير  
جناحات.. إيه مش نفسك حتى تجرب يا مازن؟!

- انتي مجنونة يا لارا!

- بس بس.. مش بحبك تختصر اسمي!

- خلاص يا حبيبة.

- حبيبة مين؟!

- معنى اسمك!

- لا معناه ضوء الشمس ونور القمر. ولا بتاعتك دي يعني نورين  
الشمس والقمر!

- ليه ماكانش اسمك أسهل من كدا؟!

- اسمي أحلى حاجة فيّا...

وها أنا أشتاقُ إليكِ وقد صدقتِ؛ فأنتِ نور الشمس والقمر ومنذ  
أن غبتِ عنا.. عن أمكِ وعني وعن أصدقائكِ، وحياتنا لم تعد لنورها  
شمسًا كانت أوقمرًا.

أشتاقُكِ يا نور القلب...

## -ديالارا-

ينسحب الصداع تدريجيًا من رأسي كلما رشفتُ من كوب قهوتي الصباحية، أحتاجها بشدة، تتلون بعيني دموعي المنهمرة منذ ليلة أمس، أشتاق أُمي.. أَحَبُّ مَنْ بالعالم إلى قلبي، مرَّ شهران ولم أرها، وفقدتُ إياها زادَ على كامل غضبي، أريد أن أُلقي بنفسي في أحضانها وأبكي وأصرخ حتى لا يهيم، ولم يعدَ بهمَّ أنها فعلت ما فعلته بي، ولكني أتذكرُ أبي وزيارة قبره، وأتساءل.. هل عندما علمتَ بزواجها هل صَفَحْتَ عنها؟! وكيف أسأله؟! فهو في عالم من نعيم؛ فلا يهيمه إذًا من أمر الدنيا شيئًا.

إذًا فهي أنا من يحزن ويقهرُ ويفقد ثقته بأقرب مَنْ يحب، ولا يزال غضبي قائمًا عليه على ثاني أَحَبِّ البشر لقلبي! مثل خطاباتي التي كنتُ أكتبها في مسودتي، تساءلت هكذا كل ما مررنا من شجار شيء، وأنتُ تعلم منذ فترات كبيرة يا مازن بأمر هذا الزواج، ولم تخبرني شيء آخر! ولا أعرف لِمَ لَمْ أُوَبِّخْكَ على هذا جيدًا؟! بل كان شجاري وصراعي مع أُمي فقط وليس معك، ولكنه أيضًا جُبْنُكَ وعدم شجاعتك وإخفاؤك عني أمرًا مهمًا مثل هذا.

وتذكرتُ ما كتبته إلهما في رسالتي لأُمي...

هذه أولى رسائلي إليك...

ولم أعرف كيف أخطها إليك...

(أريدك أن تطمئنني عليّ، وأن لا يُميت القلقُ قلبك، وأن تعرفني آتي لست خائفة ولا أفقد شجاعتي، وأني أعرف أنك الآن لست وحدك.. هنالك من يقف إلى جوارك، وأرجو أن لا تبغثي عني، سأعود يا أُمي عندما أجدُ الطريق كما رغبت، لا تقلقي..

أفتقدك حد السماء، وأحبك كعصفورٍ صغيرٍ فَمَدَّ عَشَّهُ ولا يعرف

كيف يعيش؟!)

ولا كيف يعيش؟!)

عدتُ لفنجان قهوتي مداعبة نفسي بمقولة.. "هي إيه حكاية القهوة  
دي مع العمق والجودا والرسايل والدموع؟! هو ماينفعش نشرب قهوة  
ونبقَى تافهين عادي؟!"

اشتقتُ لعبث يوسف معي، ولم أُرِدْ أن أبقى وحدي بعدما خرجت  
إكرام؛ فحدثته هاتفيًا وخرجت إلى شوارع ميامي أنا والهواء والبحر  
ويوسف، واللون الأزرق يلون يومي، والسماء والبحر وعيون يوسف،  
ولا أدري في أيهم أذوب!

## -مازن-

ساعاتُ مرّت بالمشفى حتى استقرتْ حالة أمي، وهدأ قلبي قليلاً من هذه الأيام، أردتُ العودة إلى المنزل، ولكني أشعر بصعوبة في ذلك من الإنهاك لليالٍ ممتدة.. كنتُ أمثي بصعوبة، ويتحرّك جسدي ببطء شديد يشبه الآلة، وعيناي أصبحت تشبه عيون المدمنين من كثرة القهوة وقلة ساعات النوم، كذلك فقدت حياتي معناها منذ صرتُ بلا صديقة، أو هكذا رأيتُ الحياة وما فقدته، ولم أنتبه لصديقتي نوران وهي تأتي إلى المشفى كل يوم وتطمئن عليّ وترحل، وتحملها لي وللمشروع الذي ساعدتني به كثيراً؛ فلم أكن أبدي اهتمامي العام بالدراسة ولا بحياتي بأكملها، كانت لطيفة جداً، ولم أكن أدرك مدى مساعدتي إياها على مدار السنوات منذ أن عرفتها، وأنها ستكون معي بهذا القدر من الوفاء والصدق.

وقفتُ أمامي لمدة أعتقد تجاوزت العشر دقائق تحدثني عن شيء ما، وذهني المغيب لا يرى ولا يفهم ولا يدرك! أراها أمامي تُشير لي ويدور رأسها يميناً ويساراً، ومن ثم تعود لتتحدّث إليّ؛ حتى زادت الصورة ضبابية، وزادت حركات جسدها من إيماءات عديدة وإشارات وعينين جاحظتين تنظران لي في فزع؛ حتى ارتخى جفناي؛ فلم أعد أرى نوران، وسادت الظلمة وهدأت الأصوات.

وبينما أرى نفسي بعمر العشر سنوات رأيتك تقفين أمامي بفستانك الأزرق المرسوم عليه فراشات صغيرة ملونة، ثم جريتُ أمامي نحو إحدى الأرجوحات وعلو صوتك "يالاً بينا"، وأسرعتُ أهول نحوك في سعادتي الطفولية وبهجتنا التي لم يسرقها منا أحد، ولكني أمسكتُ بالأرجوحة من خلفك وهي تعلو وتهبط وأنتِ تعلو صوتك معها.

(أعلى.. أعلى يا مازن... عاوَزَه أطيّررر.. كمان)

وزادت ضحكاتك الطفولية، وزادت دقات قلبي مثل أرجوحتك يعلو  
ومهبط معها.. حتى ما عدت أتحمّل! وكانت الأصوات تعلو ثم تهدأ كأنما  
بُعِثت من فراغ.

فتحتُ عيني لأجد أمامي عينين لوزيتين، ووجهًا أعرفه جيدًا يقابل  
وجهي في قرب شديد، ملامحها الملائكية جعلتني أبتسم في استسلام،  
ومددت يدي لأتحسّس هذا الوجه النضر، حتى شعرتُ بلمسته التي  
أفاقنتي، وارتعشت يداي من جاذبية لم أعهدا من قبل.  
نوران:

- مازن! طب انت هتفضل ماسك وشي كدا!؟!

- احم آسف... بس إيه اللي حصل!؟!

- انت أغمى عليك وأنا واقفة قُصادك.

- اممم فعلاً!؟!

تأملتُ حولي الغرفة البيضاء الخاوية، ونوران تقف إلى جوارِي وأنا  
مسجى على السرير، واقتحام إحدى الممرضات لنا في اللحظة السابقة،  
ثم عودتها وزميلة لها وهي تضحك وتتغامز وتتلامز كأنما رأت مشهدًا  
غراميًا بهذا المشفى باهت الجدران والمامح، ولكني لا أعيبُ ظنّها حقًا!  
فمن يراني وأنا أمسك وجه نوران بيدي له أن يظن ما يشاء، يا لي من  
أحمق! وليزيد الأمر لأفقد وعي وأصير ضعيفًا يستحق الشفقة!

اتكأْتُ على نفسي وحاولت أن أقف، ولكن لم يكن الأمر سهلًا،  
أشعر بالعجز والإحراج أيضًا، عليّ أن أنهض!

نوران:

- طب مازن ماتتگاش على نفسك.. الدكتور قال: إنك وقعت من

التعب وإن ضغطك منخفض!

- لا هقوم.. ساعديني بس.

- حاول ترتاح شوية كمان طيب.

لم أجهها وتحركت من السرير ومعها، تحاملتُ على نفسى وعدتُ إلى منزلي، ولم أكن أريد أن أبدو ضعيفًا عاجزًا أمامها أيضًا، يكفي ما بي من خيبات وتألم!

وقبلَ نومي أخذني عقلي بعيدًا؛ فبعض اللحظات لا تُنسى على الرغم من غرابتها، عندما عدتُ إلى فراشي.. تذكرتُ ملامحَ وجهها وأنا أتحمّسه بيدي! وأنا أنظر إلى حسنات وجهها المتناثرة كحبّات سكر بنية بوجه شديد البياض، وجهها الملائكي من أجمل ما رأيت!

## -ديالارا-

بكي قلبي ولم تبك عيناى..

الفقد يمزقني ولا يمكنني أن أعودَ إلى حيثُ بداية صراعي معهم، لا أريد ان أخوض حربًا لا يمكنني أن أصمدَ فيها ضدَّ أحدٍ أحبّه!  
الصداع يقتلني، وعدم القدرة علي التحمّل وبكائي الليلي وأنا أتهرب من صديقتي بالمنزل عندما يشتدّ عليّ شوقي إليهم، الهروب من ذاتي يمكن أن يفتتني، ولكنها الحقيقة..

ووجدتني أثور داخليًا، وأحمِلُ دفترتي وأكتب كل ما يؤلمني..

(يا ريتني قدِرت أواجه أو حتى أقول لا.. يا ريتني قدِرت أصرخ وأعيط، أو حتى أخبّط في الأرض.. يا ريتني! بس هيفيدني بياه؟! وهما مش سامعيّ، وعيونهم متعلّقة في الفراغ، وبرضه بُعاد عني!)

وضعتُ يدي على صدري؛ لهدأ، وأغمضتُ عيني عن أصوات عقلي وتوتر قلبي، إن ما حدث قد حدث، لن أغيّره، ولا يمكنني أن أعيد الزمن إلى الوراء، عليّ أن أواجه مصيري، وأن لا أفقد شجاعتي تلك التي خلّقت من أجلي.. وأن أنصتَ إلى روحي!

(اسمعيها يا ديالارا.. اسمعي نفسك.. اسمعي روحك.. وحسيها عاوزه تقول لك إيه!)

جلستُ أنصتُ إلى نفسي لأول مرة بحياتي تلك التي أهملتها، حتى أصبحتُ بهذا العمر، وحتى عندما وطأت قدماي هذه الأرض الجديدة والحياة الممتلئة بالشغف، إلا أني أختنقُ من الداخل! وها أنا أنصتُ إلى صوتي الداخلي الحائق الذي يتسرّب إلى خائفاً مني؛ لأطمئنها وأستمع إلى حديثها بحب، وأن لا أخاف مما قد تُملّيه عليّ، حتى بدأتُ تحدثني؛ فأراها بداخلي وعيناى مغمضة خارجي، ومفتوحتان تتأملها بداخلي، وها هي تخبرني..

- (سامحي! سامحي يا ديالارا! كلنا بشر.. كلنا بنغلط!)

فجادلتها:

- بس أنا ماغلطتِش فيهم؟ ليه بيعملوا فيا كده؟!

- سامحهم.. ماكانش هدفهم يزعلوكي، ولا حتى يخلوكي تتألّي.

- طب والثقة! وإني أبقى مصدّقة إنهم مش هيعملوا فيا كدا؟! ازاي

يحصل ده؟! طب أنا والله كنت بعمل كل حاجة معاهم بحب وبكل

طاقتي، فجأة كدا ألقى كل حاجة وقعت فوق دماغي! طب إيه ممكن

أحسه أو أعيشه معاهم؟! الأهل! الحب! بينسوا كل حاجة وجعتنا

بسببهم، ومش بيفكروا قَدِ إيه سابوا جواكي كسور مابتصلّحش!

وبيطلبوا منك إنك تبقي زي ما همّا عاوزين وترجع معاهم عادي!

عاوزاني أسامح؟! أسامح بس لسه قلبي بيوجعي! فهميني؟!

- فهمتك.. وأكد هيجي الوقت اللي قلبك فيه هيرتاح.. ثقي في ده!

فجأة هدأتُ وزالت الظلمة. وأنير جزءٌ مني كان معتمًا نورًا

بداخله.. يدٌ امتدت لي! وباللدهشة.. يدٌ أعرفها.. هي يدي! بحديتي مع

نفسي لأول مرة، وجدتُ أحداً أحبه يشعربي ويمد لي يدًا لم تُهزَم أبداً،

وأجدها أينما ذهبت.. لن أهرب منها.. لن أهرب من نفسي، لقد وجدتها

أخيراً.. لقد وجدتي!

## -مازن-

العالم أكثر هدوءًا وحياءً..

بعدما استقرت حالة أُمي وخروجها من المشفى وتحسّنها وتحسّني معها عدتُ إلى عزلتي قليلاً.

أغلقتُ عليّ غرفتي وعالمي الخاص، ووضعتُ إحدى أجمل موسيقى لـ"Yanni"، وأخذتُ أستمع إليها في هدوء، وتوالّت القطع الموسيقية تشدو بأذني! شغلتُ موسيقى مقطوعة هادئة "One man's dream" و"Almost whisper"..

ارتاح عقلي مع الموسيقى من التساؤلات العديدة وانحسار كل شيء بداخلي، حتى ما عدتُ أجد لي مفرًا من أيامي الباهتة القاتلة بداخلي، وغرقتُ بداخل إحدى أحبّ المعزوفات إلى قلبي "Reflection of passion"، وأغمضتُ عينيّ في سكون تام.. لحظات وشعرتُ بيديها تحيط ذراعي وأناني أحضنها، غفوتُ لدقائق.. وعندما أفقتُ تذكرتُ كيف كانت يدا ولمعة عينيّ ديلارا الدافئة.

وكيف أن هذه الموسيقى وعزف البيانو يشبهها في هدوئها واحتوائها لتلك التفاصيل الكثيرة التي عشقْتُها رغمًا عني، ظللتُ أستمع إلى موسيقيّ وأهيمُ بها سكونًا.

أمسكتُ قلمَ الفحم وعدتُ إلى رسمها كما تراها عيناى، تُعطي كل خطٍ من خطوط وجهها لمحة أخرى من جنّتي المنصرمة.. رسمتها، وكانت أول لوحة كبيرة أرسّمها وأعود للرسم منذ فترات طويلة شعرتُ كأنها أزمنة منعقدة، لم أعرف أن قلّمي لم ينس، وأن قلبي لا يزال يحفظ ملامحها كأنما رسمتها ألف مرة.

وبينما في هدوئي وخلوتي هاتفتُني نوران.. كانت ملاكًا سقطت من السماء لتترقّق بحالي وتصاحبني؛ معروفٌ لن أنساه، أسرعُ لمحدثتها

وقلي يكاد أن يهزم من محبتي لفتاتي الهاربة وفتاة أخرى، لم أعلم لِمَ  
علقتُ بها روعي منذ اللحظة التي فتحتُ بها عيني بالمشفى ورأيتهما؟!  
أغلقتُ هاتفي على اتفاق أن أراها وأكمل ما بدأناه من مشاريعنا  
سويًا، لا أعلم كيف مرّ الوقت بعامي الأخير بهذا الشكل؟! وزادت  
مشاريعي وتزاحمت لضخامتها، هي هندسة بكل ما فيها من تحدّيات  
وأوقات لا تعرف بها إن كنت تعيش حقًا أم أنك فقط تتعايش؟! وأنك  
تسعى جاهدًا أن لا تسقط في تلك الفوهات الزمنية التي تجعلك مُغيبًا  
عن الآخرين؛ فتغيبُ عنهم لا إراديًا فتعودُ لتجد من أحب، ومن ترك،  
ومن تزوج، ومن سافر، ومن رحل، وأنت فقط لم تفعل شيئًا غير  
ساعات وساعات في مشاريع لا تنتهي، ودكاترة يجيدون تعذيبك بصدر  
رحبٍ ولا يلقون بالألّا لإنهاكك أنت ومن معك من زملاء القسم التعساء  
جدًا حياتيًا، والمتفردون للغاية بعقولهم وطرقهم الخاصة.  
حسنًا.. هي حياة وعليّ أن أكملها، وسأفعل.

## -ديالارا-

حملتُ جيتاري وأسرعْتُ خطاي حتى بدأت الهرولة. دقات قلبي تكاد تقفز من داخل صدري، حذائي الأسود الجلد وارتفاعه من علي الأرض يعلو ويهبط؛ فيفتت قطرات المياه وصوتها وهي تتفجر أسفله، وتساقط حبيبات صغيرة منها على شعري وشفتيّ، برودة الجو وحرارة جسدي معاً كجسدٍ مشتعل تحت المطر، أشعر بكل حركة في جسدي.. قلبي ينبضُ وأنفاسي اللاهثة تلك التي تذيب تجمّد يديّ كلما نفخت بها.

وصوتُ صدري مع خطواتي المتزايدة حتى وصلت إليهم، أكاد أراجع لولا أن يوسف أخذ بيدي في قبضة يديه بمنتهى القوة والحزم، ولم يترك لي الخيار؛ من أن أفرّ أو في التنفس، ثم طلب مني أن أتنفس! فكتمت نفسي لثوانٍ معدودة، ثم أطلقتها في تهيدة واحدة لهدأ قلبي. خطوات تفصل بيني وبين هذا الحشد الهائل، والوقوف لأول مرة أمام هذا الجمع من العيون المعلقة بك.. مواجهة جديدة تطراً على حياتي وفُرصتي، وها أنت وحلمٌ لم أصدق أن يتحقق. أغمضتُ عينيّ لدقائق أخيرة، أشار لي فيها أن أستعدّ. وتذكرتُ كيف كانت لحظة نشوتي بهذا الحدث وعرض يوسف عليّ، وكيف هو حالي الآن متناقضان للغاية! أخشى الهرب أو السقوط مغشياً عليّ.. جسدي يفور، كيف كان هذا أمراً سهلاً عندما أخبرني! يا ويلتي!

يوسف:

- ديالارا.. أنا عاوز أقول لك على حاجة مهمة.

ديالارا:

- مع إنّي بقلق من البدايات اللي فيها ندهة الاسم دي.. بس قول، معاك يا يوسف!

- يارب يبقى دا الرد اللي هاتقوليه بعد ما تسمعي.. إنك معايا! سقط قلبي حينها ولم أفهم ماذا يقصد؟ هل هذا حبُّ أم شيء آخر؟! انتهتُ وعيناى التي شردت عنه بعيداً لدقائق.

يوسف:

- ها أقول؟

- أيوه.. تقصد إيه؟

- فيه حفلة جات للفرقة ومش حاتين نرفضها، وانتي بقالك فترة بتتمرني معانا، وحقيقي عزفك رائع.. إيه رأيك؟! ها تعزفي معانا في الحفلة؟ هتبقى أول حفلة ليكي.

.....

- وأول حفلة حقيقية لنا.

- موافقة جداً.

حضنته ولم أعرف لماذا انجرفت مشاعري؟! ولكني وقتها شعرت أن قدمي تعلقوا على الأرض من الفرح المتناثر حولي، والحقيقة أيضاً أنه رفعتني عندما حضنته؛ فقصري وتعلقني به يشبه فتاة صغيرة.. رفعها عاليًا.

وهكذا عدتُ بذاكرتي لوقوفني على المسرح قبل أن تدخل فرقتنا عليه، قلبي المضطرب.. وكأني ينتفض نشوةً وقلماً وسعادات مؤجلة كثيرًا.

هكذا الأحلام يمكن أن تتحقق! أن تأتي إليك ليس حبواً أو زحفاً أحياناً، بل كثيرًا تأتي إليك طيراناً حتى تكاد من صدمتك أن تتركها، ها هي أحلامك صارت واقعا، لطالما حلمتُ بهذا يوماً.. أن أعزف موسيقي، وبينما ينبني يوسف أن أستعد.. لا أدري كيف انتقل جسدي في تلك اللحظة مع يوسف إلى مازن.. كأنما أبحث عنه، أراه ولا أراه! توقفتُ حتى سمعتُ صوته المعلق بعقلي يتردد بذهني.

(سيبي نفسك للحلم.. وطيري بقى)

ومضتْ بقلبي وخرزةً اشتياق وفرح، ابتسمت ليوسف الذي تعلقت عيناها بي حد الثمالة.

- يلا بينا.. أنا جاهزه..

## -مازن-

إنارتُها تهتز بداخلها.. تتناقل في بُطءٍ، تهدأ ثم تزداد علوًا في ثبات شديد، ثم تهدأ ثانية.

ظَلَّت عيناى مَثَبَتَةً على تلك الشمعة الموضوعَة على الطاولة؛ حتى تناسيتُ كل ما يحيط حولي، ولم أَر بعدها شيئًا، كأنما تتراقص في عيني أنا وليست أمامي، انتهت لنوران وهي تضحك على شرودي، لم أُجِها في البداية وعيناى معلقتان بالضوء.

نوران:

- إيه؟ الشمعة حلوة قوي كده؟!

- معلش ماكنتش مركز.

- تصدق حكاية قطع النور دي حاجة حلوة، وفكرة إننا نقعد في نور الشمعة دي خلاني أفصل شوية.

- أنا عقلي تاه مني خالص.

- لا انت عقلك مايقاش معاك خالص.

- في دي عندك حق.

تهاوى ضوء الشمعة على ظلّ المنضدة، كفتاة توقفت فجأة عن الرقص وألقت جسدها أرضاً من الإبهك، عيناى ما زالت معلقة بالشمعة وهذا اللهب العجيب الذي يتمايل معي، تناقلت عيناى معه، وشعرت حينها بلمسات حانية تحيط ظهري، دفء لم أعهده بعدما غزا جسدي البرودة، وصار جسدي وأطرافي باردة لا يصلها الدفء كالأموات.

رعشات جسدي مع انسياب هذه اليد نحوي كتدفق المياه الدافئة على الثلج، كانت يد نوران وهي تفيقني من شرودي، وحدثني وعادت تسألني:

- مازن انت كويس؟!

- ....

- مازن انت شكلك تعبان! النور جه من بدري وانت لسه باصص  
للمشعة!

- أنا فعلاً تعبان.. محتاج أروح.

تثاقل لساني في الرد على نوران صديقتي اللطيفة، وتمنيت أن  
أكون أكثر قوة أمامها، ولكن يبدو أنني أنزلتُ إلى أقصى الهاوية في هذه  
المرحلة، وهي من يشاهدني.. ولا أعرف لِمَ تفعل ذلك؟! ولا ماذا علي أن  
أفعل؟!

تحركتُ عودة للمنزل وعودة للجسد الفارغ من أي روح، وإن أردتُ  
أن أبكي لا أجد دموعاً تسقط من عيني حبيسة صمت وبوح، ولا حتى  
تسقطُ شفقةً بي وترفقاً بحالي؛ لتريح بعضاً مني من بعض، وتهبداً  
أوجاعي، كأنما صرتُ أجساداً متلاحمة من بشر مقيدين ببعضهم  
البعض يتلاحمون في شدة، ويقفون على قرصٍ من الخشب كرقصة  
من الفن التعبيري، وهذا القرص الخشبي يدور ويدور حول نقطة  
التقاء واحدة ولا يلتقون؛ فهم أجساد تتناقل على بعضها بعضاً،  
وتميل من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين بلا هواده، ثم يسرعون في  
خطاهم حتى تشعر معهم بالإرهاك وأنك تدور معهم، لا يتوقفون  
ويمسكون ببعضهم البعض، ثم يتركون أيديهم في تعجل، وبعد قليل  
ينهك أحدهم ويسقط على الأرض فجأة، ولا أحد يهتم لسقوطه! بل  
مستمرون في الركض على هذا القرص الخشبي الدوار؛ حتى يسقط  
شخص آخر.. وهكذا، حتى يسقطون جميعاً ويظل القرص يدور حول  
نفسه، وهم بلا حركة.. بلا روح.. بلا حياة.

رأيتُ هذا المشهد الخاص بالفن المعاصر، وعندما عدتُ من عند  
نوران شعرتُ حينها أن هؤلاء جميعاً بداخلي، ويتساقط مني كل يوم  
شيء آخر.. ولا أعود، وتدور الحياة ولا أجد منها مفراً أو خلاصاً،  
توقفتُ عن التفكير وألقيتُ بجسدي على سريري كما فعلوا، وتركتُ  
لعقلي أن يدور حتى أنام، أو فقط أن يُغشى عليّ من التعب.

## -يوسف-

أمسكتُ بيدها المرتجفة وسحبتهُ خلفي نحو المسرح، تراجعْتُ ووقفتُ وأنفاسها تتلاحق مع خطواتي، ثم كتمتْ أنفاسها.. عيناى تراها أجمل فتاة، ومنذ أن رأيتها أول مرة في حفلة مسار إجبارى وهي تقفز أمامى على أغانيهم، وأتذكر حتى تلك الأغنية.. (ماتخفُش من بكرة) وقلبي إلهما يميل بشعرها العجري الأسود وعينيها الداكنتين، وبراءتها وسحر صوتها، لا أعرف ماذا فعلت لتفتح القلب لها كأنما لم يكن هناك مجال إلا ذلك!

عدتُ للحظتي الحالية، وأمسكتُ بيدها لتقف إلى جوارى، قلبي ينبض أيضاً من الحشد، ولكنى أشعر بالشجاعة لوجودها معى وأثق بها تماماً، استمددتُ منها نوراً من هالتها تلك التي لم أستطع ألا أراها، وبدأتُ الحفلة وهي إلى جانبي، كما عزفنا معاً وامتزج صوتانا معاً لشهور عدة، نعزف ونغني سويًا، ونضحك ويطرب لها قلبي، ويغني لها؛ فهي وحدها من يُشعرني بالسعادة. تعالتُ المزيكا ويعلو معها نبضُ قلبي ودقاته المتعجّلة بأن أعترف لها بحبي، بل بجنوني بتفاصيلها، والبهجة التي جلبتها معها إلى الحياة بأكملها.

الحبُّ كما لم أكن أظن يوماً أنى سأعرفه، أو أن هناك من خلقت لترضى قلبي أو ذوقى، أو كما كان يقول أصدقائي لي:

"انت يا يوسف اللي تهجها دي لازم تجننك وتسرق حته من عقلك كدا؛ عشان بس ترضى تقع في حيا وتبطل تخلي بنات الناس تعجب بيك وتحبك.. وتحسن بقى".

كنتُ أشعر بعد هذه الكلمات أنه ليس هناك امرأة تقدر على ذلك، ثقى بنفسي وكل من رآته عيناى من فتياتٍ لم ألقِ بالأل لإحداهن، حتى رأيتك، وها هو عقلي لم يُسرق "حته" منه، بل لقد سُرق كله، عزفك على أوتاري وصوتي يشدو لك ما يرجوه أن يملأ قلبك.

لم تكن حفلةً تُنسى، أو يمكن أن أجد فيها ما يشغلني غيرك.

(غيرك يا ديلا..)

(لقد جُنتُ بك..)

(آآآه خطفتني، وعليّ الآن أن أجعلك أنتِ كمان تحييني

وأخطفك..)

## -نوران-

أمنتُ بتلاقي الأرواح، وأننا كنا معًا يومًا في عالم الدّر، وأن أرواحنا اختارت بعضها بعضًا في هذه الرحلة، وأن كل ما حولنا ليس بالصدفة، إن حياتي كلّها أيضًا من اختياري، وأن من أعرّفه الآن له دور في هذه الرحلة، ولي أيضًا دورٌ مهمٌ كَبُرَ أو صغُر، أو ربما هي رسالة علمها أن تصل في حينها.

لم أكن أهتم بكل ذلك قبلاً، كنتُ أعيش حياتي كما رسمها لي أهلي؛ أمي وأبي، لا إرادة لي في ذلك، ليس كما كنتُ أظن؛ فإني أُعطي كل ما في إمكاني لأرضي فقط مَنْ حولي، ولم أكن أعرف حتى ماذا أردت لنفسني! حتى هذا اليوم وهذه الحادثة بعدها تغيّر كل شيء في نظري، ولم أَعُد "نوران" التي عرفها الجميع من قبل.

تلك الحادثة "حادثة الموت" كما كنتُ أقول، وهي لي "عودة الحياة" ولحظة الميلاد الحقيقية لي، كنت عائدة من أحد مشاوير أمي التي طلبتها مني، ولم أكن أرغب فيه، ولكن هو ذلك الأمر سواء شئت أم أبيت في جدول حياتي، كنت لا أهدأ.. مشاوير عدة.. أحداث متواصلة.. خطوبة أخي.. عقود.. أوراق كثيرة من الطلبات، حتى من أختي الصغيرة، دفع أقساط، كل هذا وكلّيتي ومشاريع لم تبدأ حتى تنتهي بعد، كل هذا بعقلي وأكثر، وما إن أنتهي من شيء حتى يأتي شيء آخر بعده، قد كان عقلي شاردًا جدًّا يومها، وأسوق في عجلة من أمري حتى أتت تلك اللحظة، لم أر بعدها شيئًا، صوت الموسيقى العالية بأذني.. والصوت الدافئ لـ"ريم بنا"، ولكن عقلي لا يدرك ماذا يحدث؟!!

حتى توقّف كل شيء، وصارت السرعة التي أسوقُ بها سيارتي مثل مشهد من فيلم ما مصوّر بالتصوير البطيء... فلاشٌ قوي اخترق بقوة عيني؛ فأعماهما للحظة، ثم مقود السيارة يدور في يدي.. وتدور السيارة كألعاب الملاهي التي كنتُ أعشقها في صغري، ولكنني لستُ بالملاهي، وليس معي أحد، ولا قدرة لأعيد توازن السيارة التي تدور بي

على الأرض، وأنا وهي ترتفع بالسماء حتى غابت الصورة، وبعد قليل توقفت الموسيقى.

من بعدك لا شيء يهم  
ضوء القمر هدهد الليل، أو لون الخد  
من بعدك لا شيء يهم  
ارتجاف القلب.. اللمعة في العينين  
أو لمسة اليد.. من بعدك لا شيء يهم  
من بعدك لا شيء يهم  
طعم القهوة.. سحر التبغ.. أو نشوة الموجة  
في الجزر وفي المد..  
من بعدك لا شيء يهم

ومنذ أن عادت إليّ روجي صرتُ أرى كل شيء مختلفًا، لقد عدتُ، عدتُ إليّ؛ فقد كنتُ مغيبة بعمري ووجودي بهذه الحياة، وها أنا رأيت الموت، بل ولدتني الحياة وعادت إلى روجي المهكّة من الحبس بداخل جسدي.

عندما نظرتُ لعينيّ مازن وهو في المشفى رأيتُ فيه نفسي، رأيتُ فيه حياتي القديمة مثلما كنتُ أفعل من إعطاء الجميع دون نفسي، رأيتُ روحه تُريدُ أن ينتبه.. أن ينصت إليها، وعندما وضعتُ أمامه الشمعة كنتُ أنير قلبه، وأن يرى النور؛ فالظلام يحيطه، أشعر به.. وأتذكر نفسي فيه.

أوصلته يومها وعدتُ إلى ذلك اليوم عندما حمل جسدي محاطة بدمائي، لا أستطيع الحراك، مهشّمة القدمين وفاقدة لقدرتي على التحدّث، أصيبتُ حنجرتي كذلك؛ فلا يمكنني أن أنطق بشيء ولا أشعر بجسدي، ألمٌ لا يفوقه شيء سوى أن روجي تحيطني وعيناوي تفيضان دمعًا أحرص، وقلبي يبتهل إلى الله أن يراه.

(فكيف يراه وهو معه لا يغيب.. فوالله أراك وأراك وأرعاك، هكذا كان وهكذا رأيتُ الله..

أنار قلبي وروحي)

## -مازن-

(حلمتُ بكِ!)

وجدتُني أكتب إليها وأحكي لها هذا الحلم..

لم أعلم كيف مرّت الشهور دون أن أراكِ فيها، هدأت الأيام رغمًا  
عني ومضى الوقت.

كتبْتُ إليها، وإن لم تصل الرسالة كالبقية ولن تراها، وعدتُ  
بعدها إلى رسوماتي التي زادت حتى امتلأت الغرفة من لوحات بظلال  
الفحم، وأخرى اقتحمتها الألوان كما كنتِ تقتحميني وتزاحمني  
ملاحك في كل من أعرفهم، أراكِ دائمًا أمامي.. وبملاحك وما تحيِّينه  
في الحياة من القهوة والبحر والألوان، رسمت بخطوط سوداء عيونًا  
تشبهي وملامحَ ظننتها في البداية ملامحي وأناي أرسمي، ولكن فيما بعد  
ذكّرني بصورة قديمة لأبي في شبابه، تشبهه كثيرًا، ليس الملامح  
فحسب.. وبل الروح فيها تشبهه كذلك.

رسمتُ فتاة تشبهك كثيرًا، ولكنها أكثر حرية وانطلاقًا.. ترقص في  
لوحة وتطير في لوحة أخرى، لها جناحان.. كما لم أركِ من قبل.

ورسمتُ فتى وفتاة يمسان بأيدي بعضهما البعض، تُذكّرني بنا  
عندما كنا في أواخر الدراسة وقبل دخول الجامعة، وكيف كنتِ في  
حالة من التوتر حينها، والشعور بأن كل شيء سيتغير! فأطمئنتك، على  
الرغم من أنني لم أكن أقل منك بهذا الشعور، ويزيده الشعور بالفقد  
لأقرب أصدقائي.

أتذكر هذا اليوم جيدًا، كنا نتمسّى بشوارع المعادي يدًا بيد..  
تحدثنا كثيرًا حول الأماكن والسفر والمغامرات التي تريدين أن تقومي  
بها، وعن حبك للموسيقى، وعن قراءتي الكثيرة، وحبك لشعر غسان

كنفاني ورسائله لغادة السمان، وكيف يعيش الحب هكذا بعد كل هذه المعاناة، وأنتك لم تعرفي الحب قبلاً، وكيف كنت أحدثك أن الحب مثل اللص لن نشعر بأنه أتى إلا عندما يرحل بما وجده في غفلة منا! ولم أكن أظن أن هذا اللص قد سرق قلبي مني بالفعل حينها.

فتذكرني بإحدى رسائله لها، وأراك فيها.

(إن لي قدرة لم أعرف مثلها في حياتي على تصوّرِكَ ورؤيتك، وحين أرى منظرًا أو أسمع كلمة وأعلق عليها بيني وبين نفسي، أسمع جوابك في أذني، كأنك واقفة إلى جوارِي ويدك في يدي. أحيانًا أسمعك تضحكين، وأحيانًا أسمعك ترفضين رأِي، وأحيانًا تسبقيني إلى التعليق، وأنظر إلى عيون الواقفين أمامي؛ لأرى إن كانوا قد لمحوك معي!)

من رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان

وهكذا بعد مرور أعوام حتى آخر عام بالجامعة، وندرة لقاءاتنا مع انشغالي وانشغالك ومحاضراتك الكثيرة، ومشاريع كليتي التي لا تنتهي: حتى مرّت السنوات شامته فيّ وساحقة لي، وبترددي وعدم اتخاذ قراري الدائم نحوك.

وعندما تركتُ يديك التي وضعتها بيدي وبعدي عني؛ شعرتُ بهذا الحب بعد فوات الأوان، ورأيتُ في عينيك لمعة لن أنساها قطّ، جعلتُ ما بداخلي من مشاعر يتصدع.. كجبل ظلّت المياه الدافئة تتخلّله حتى تفتّت الصخور وتساقتطت؛ لتعلن عن شلالها الجارف بداخلي، ولكني بعدها صرّتُ حانقًا منها؛ فبعدها أظهرت بي ما لم أكن أعلم أنه موجود بداخلي، وأزحت الركود الذي أقيمتُ عبر عصور بداخل فتّي ورجلٍ لم يعرف الراحة يومًا لحظة واحدة، احتضنته فيها للحظة.. ثم تلاشت تمامًا، وعاد هو مرة أخرى لكهفه المظلم لا يرى شيئًا.

## -ديالارا-

ارتفعت قدماي عن الأرض.. يداي ما زالتا ترتجفان والتصفيق حولي يزلزل قلبي، شعرتُ بالحرارة والبرودة يسيران معًا بجسدي! ورأيتُ بين الصفوف عيونَ من أحيم كَأَهم معي، يخفقُ قلبي من شدة حماسي، يكاد أن يوقف النبض لهدأ جوارحي، لم أشعر بهذا التجلّي والانتشاء بهذه الدرجة إلا في هذه اللحظات.

عيناي تعلّقتُ بالإنارة الشديدة البيضاء أمامي، رأيتُ بها عيني أبي الراحل يشاهدني ويبتسم لي، رأيتُهُ يقترب مني حتى كاد النور يلامس وجهي، شعرتُ كأنما تسلّلت يداه لتمتدًا لي، إلى أن شعرتُ بيد أخرى سحبتي؛ لأعود من تلك اللحظة النورانية لأرض المسرح.

قدماي اللتان كادتَا أن تطفوا بي في الهواء ها هما ترسوان مجددًا، وقلبي النابض انتظمت دقاته وحرارة يدي تسرّب إليها الدفء، ثم سحبتي يداه قليلاً للخلف؛ ليرفع عن وجهي المتوهج الضوء الشديد الوامض بعيني..

ديالارا.. ديالارا...

تنفستُ ورأيتُ يوسف يشير إليّ أن أراه، كان كل شيء حولي يسعدني، يبتسم قلبي، ووجهي حوله ذبذبات تشبه الفراشات تقبلني، وعينا يوسف التي تشع بالحب.

يوسف:

- عزفتي حلوقوي يا ديالارا.. أنا فرحان جدًا، فرحتك كمان باينة في عينيكي.

- انت مش عارف انت عملت فيا إيه؟! دا كان حلم عندي يا يوسف.. حلم جوايا ماكنتش عارفه إنه هيتحقّق كدا.

- ربنا حقّقه.. تعالي لسّه عاوزك!

- أوك.. معاك يا يوسف.

خرجنا من المسرح مع باقي أعضاء الفرقة في حالة انتشاء عارمة، وبهجة انتشلتنا جميعاً من فترات التمارين والعزف والمشي ليلاً حتى بوادر الفجر، نغني ونضحك بشوارع الإسكندرية، كانت أجمل ما مررتُ به منذ أن قررتُ أن أحيا كما رغبت يوماً، حتى جاءت هذه الحفلة، وها أنا أشعر أن الدودة قد خرجت من الشرنقة وجناحها يخفقان وقلها يردد الحلم يتحقق.. حتى باغتتني لحظة صمت.

وقفتُ فجأة.. شعرتُ بأن شيئاً ما سيحدث، أو أن هناك شيئاً ما ناقصٌ. حركتُ رأسي يميناً ويساراً رافضةً أن يتغلب عليّ هذا الإحساس، أريد هذه البهجة وأن لا ترحل سريعاً، وأن تبقى معي ولا تتركني كما فعلت منذ سنوات ماضية في عيد ميلادي الحادي عشر، عندما كنت في غاية السعادة أرتدي فستاني الأزرق الملون بفراشات جميلة ملونة، وأجري بمنتهى السرعة؛ ليرى مازن هديتي من أبي العائد من السفر، والذي كان يسافر ويتركنا أنا وأمي، حتى وقفتُ فجأة أرى مشهداً.. كأنما تمّ تنويمي مغناطيسيًا.. أمي تصرخ.. أبي يتهاوى على الأرض.. الجميع يحتشد حوله، يؤخذ بيدي وأكاد لا أرى من الزحام حوله.

أيام وشهور مضت وأبي في حالة شللٍ إثر صدمة عصبية أفقدته الحراك، سنوات تتوالى وأبي أحبّ من أملك يعيش معنا على كرسي متحرك، يحدثنا ببطء بعدما عانى لفترات وصمت كبير، ولكن لِمَ أشعر بهذا الألم في هذه اللحظة؟! أردتُ أن أنسى وأن لا أتذكر، ولكن وجه مازن عاد إلى ذهني يطمئني كما كان يفعل كلما تذكرت هذه الحادثة، ووفاء أبي بعد ذلك بسنوات، هدأت ودمعت عيناى بشدة، رآها يوسف ممسكاً بيدي.. يالحمافة أبكي وأنا سعيدة!

## -يوسف-

أعشقها..

أردتُ بعد الحفل أن أقوم بخطف ديلارا.. إنَّ شعوري نحوها  
يتزايد، كمن رأى نجمة ساقطة من السماء ويريد أن يمسكها ويأخذها  
بين يديه..

She is my wish

She is my fallen star

أمسكتُ يدها كما هي عادتي رغماً عنها، وكلّما تريد أن تترك يدي  
أزيدُ إحكام قبضتي على كفها الصغير.. ابتسمتُ إليّ ثم شردت ودمعت  
عينها، إن قلبي يهتز كلّما شعرتُ أنها منزعجة، ولم أكنُ أريد أن أراها  
هكذا، أريدها سعيدة، أو على الأقل ألا أتركها تتألم؛ فنظرتُ إليها  
طويلاً حتى تحدثتُ إليها:

- كنت فاكِر إن البحر الحاجة الوحيدة الي بحبّ أبصّلها، بس  
واضح إني طلعت غلطان!

خَجَلتُ من مغازلتِي لها، فأكملت:

- مش البحر بس الي بحبّ أبصّلها!

- بتضحككِي يا يوسف لما بتسكّت وفجأة تقول لي جملة كدا  
ماأكونش متوقّعاها!

- اممم طب إيه رأيك بقى نروح نشرب حاجة أو نقعد شوية على  
البحر؟!

- إيه! دلوقتي؟!

- أيوه.. يعني وراكي إيه؟!

- لا.. انت مش شايف الساعة كام؟ احنا عدينا نص الليل من بدري! يعني لو حد ضايقنا!

- حد ضايقنا؟! نعم حضرتك؟ واحدة صاحبتك أنا؟ هو انتي مش معاكي راجل ولا إيه؟!

-ههههه لا ما أقصدش!

- شكلك تقصدي.

- شوية! رد فعلك ضحكيني قوي.

- طب يلا بينا بقى.. اركبي!

أمسكتُ يديها ولم أُرِد أن تفلتَ مني أو أن تهرب حيثُ لا رجعة، لا أعرف لماذا أتاني هذا الشعور فجأة؟ ولكني أخذتها من يدها وانطلقتُ بالموتوسيكل خاصتي نحو الشوارع الواسعة والطرق التي تفتح لنا ذراعها في سعادة، ولم أكن أعلم ما مدى سرعتي؛ فقد كان قلبي يقفز فرحًا!

وكل ما في يسارع الطرقات؛ ليصل لمكان أبعد وأبعد، وأن تكون هي أقرب لي ومعني!

## -ديالارا-

قلبي يكاد أن ينكمش..

حاولتُ أن أهرب من مخاوفي، وهذا ما شعرتُ به لحظتها، على الرغم من سعادتي السابقة والحفلة الرائعة، إلا أنني أشعر بانقباض قلبي! لا أعرف لماذا؟! ولكني كنتُ أريد ان أتحرّك لعل ما بي يذهب، ولكنه حقًا يزداد!

أمسكتُ بيوسف وحضنته من الخلف.. كان مسرعًا للغاية أزيد من اللازم، ولكنه يحب السرعة على أية حال، وبينما نمرّ بالطرقات وقلتُهما في اندفاع شديد حتى جاءتني رؤيا..

رأيتُ أمي لوهلة كأنها أمامي، ورأيتُ بعدها رؤيا أخرى وكأني نُقلتُ لعالم آخر..

رأيتني أرتدي ملابس غريبة، بيضاء الشكل، وشعري ذهبي وطويل، وملامحي لا تشبيني في زمان آخر بعيد، وأجري مسرعة في غابة ويتسارع نبض قلبي كأنما خرج من صدري، كنتُ ممسكة بفستاني الأبيض الذي يحيطه رداءٌ قصير من الجلد البنيّ، يبدو أنني كنتُ أهرب من أحدٍ ما؛ فالتفتُ خلفي وأنا ألهتُ حتى توقفتُ فجأة، وسمعت صوت حوافر حصان، وصوتًا ما خلف الأشجار الكثيفة، وبينما أترقبُ أن يظهر هذا الشخص أمامي؛ حتى التقطتُ عيني ضوءًا ما ينبني لواقعي، ولكني عدتُ لرؤياي رغمًا عني، واقترب مني هذا الفارس على الحصان، شعرتُ أنه مازن في ملامح أخرى أكثر فتوة وقوة، وعندما كنتُ أنظر إليه خائفة رأيتُه يُخرج سهمًا من خلف ظهره ويضعه على قوس بيده، ويصوّب نحو أحد ما، فزعتُ وأمسكتُ رداي هربًا، وعدتُ لعالمي..

أغمضتُ عيني لثوانٍ، ولكنها كانت الأسرع والأكثر هلعًا، فقدتُ توازني وكذلك يوسف، و"الموتوسكل" الذي يقوده يوسف يطير بنا

نحن الاثنان. إن قلبي بالفعل لُفِظَ خارجي، لقد فقد يوسف تحكّمه به، ويعلو صوتي صراخًا مدويًا، وانفلات ذراعي من حول خصره وسقوطي، حتى توقّف كل شيء ووجدتني على الأرض أرتجف، يتقاطر الدم من يديّ ويلوئها بالتراب، وإلى جواري يوسف لا يتحرك، ولكني زحفتُ نحوه، وتألّمتُ عندما حاولت الوقوف على إحدى قدميّ، وتأوهتُ ولمستُ جرحًا ما بها؛ يُدمي بنطالي ويدي، شعرتُ بالخوف وأن ليس هناك أحدًا حولي، تعجبتُ كثيرًا.. بالفعل لا أحد.. كيف هذا؟! وماذا حدث؟! ظلّت الصور الضبابية تُغشي وجهي ولا أعرف ماذا حدث؟! وماذا أفعل غير صراخي المستمر! لينجدنا الله...!

## -مازن-

سيمر.. كل ما يؤمك سيمر..

كل ما تشعر به الآن سيمر..

ظَلَّت كلمات نوران تتقاذف في عقلي كحَبَّات من اللؤلؤ المضيء، كانت نورانية جدًا، كل كلمة تنطق بها وكلّ تصرف يشعرك كأنما أحد الملائكة يلمس روحك، لبيت أنا فحسب من شَعْرُ بذلك من نوران، بل كل من رآها حتى وإن لم يكن على عهدٍ بها وبطاقتها وهالة النور التي تحيط بها، كلماتها تشعرني بهدوء نفسيّ بعد تلك الفترة العصبية، وخروج أُمي من المشفى، وعودة القليل من الهدوء إلى نفسي.

وبينما أنا في طريقي إلى المنزل في وقت متأخر، ولكنني كنتُ أشعر بالاختناق كنتُ أحتاج لتلك التمشية القصيرة بمحيط منزلي، توقفت لوهلة.. تسلّلت إلى أطرافي برودة ما، خدَرُ نفض قلبي وجعله يضطرب.. شيء ما قد حدث، أسرعْتُ للمنزل لأطمئنّ على والدتي، وجدتها بخير، إلا أن اضطراب قلبي ما زال باقيًا وبرودة أطرافي، عندها تذكرتُ ديلارا.. ارتعاشة ما خفقت بصدري، وتغلّف كل ما فيّ بالرهبة، وحل الصمت لوهلة، حتى قطع هذا الصمت رنة رسالة ما على هاتفي.. قرأت:

(الحقني يا مازن)

رسالة من رقم مجهول.. محتواها جعل قلبي يتجمّد خوفًا! إنها هي.. إنها فتاتي!

## -نوران-

المحبة عندما تملأ قلبك لا تعود بعدها أبدًا وحيدًا..

أيام وشهور مرّت وأنا راقدة بفراشي، ومن ثم كرسي متحرك،  
كسرت كلتا قدمي، وتضررت حنجرتي؛ ممّا جعل الصمت لي رقيقًا  
والدمع ونيسًا لقلبي؛ فقد كان قلبي ينفطر كلّما نظرتُ لنفسي بالمرآة،  
أو نظرتُ نحو قدمي..

ويا لها من لحظات مرّت وتبدّلت! ولم أعد نوران أو حتى نورًا  
واحدًا، أظلمتُ أنا من الداخل وخارجي صار باهتًا مثل أشباح الأفلام  
البائسة، ويومًا بيوم اقتربتُ من سجادة صلاتي تلك التي لم أقرّبها  
لسنوات، وإلى السبحة التي كانت تُعلّق للزينة بسيارتي، ولآيات تُتلى  
بغرفتي فتمسح ما علق بقلبي من معاناة، ولكنني ما زلتُ أتألم وأبكي؛  
حتى أصابَ قلبي الحزنُ، وجسدي واهن لا يحتويني؛ حتى بليلة كحيله  
كأنّما مرّت بي روحي تؤنّسي، وعبرتُ خارجي؛ فألقتُ عليّ نظرة صادقة  
من الحب فابتسمت لي، روحي اتصلت بي ولم أكن أعلم أن القلب  
شيء، والعقل والجسد والنفس شيء آخر، أما الروح فهي ملتقى  
الأنوار.

دمعت عيناها فرحًا منذ عقود الحزن تلك، والله ما شعرتُ بها حتى  
ظلّت تحيطني وتزيل عوائقي الداخلية، كحبات العقد المنفرط حبه  
حبه؛ حتى علمتُ أن روحي في ملكوت آخر وحيوات أخرى!

راقت إلى روحي حينها العديد من قصائد ابن عربي، وابتهالات  
ترتقي بي حيث لم أعد للأرض بعدها، ولم أعرف أن الروح إن ارتقت

ورأت لا تعود لسابق عهدها أبداً.. استعذبَ القلب وعرفتُ الهوى، كما  
قالت القصيدة..

عرفتُ الهوى مذ عرفتُ هواكاً..

وأغلقتُ قلبي عمّن سواكاً..

وقمتُ أناجيك يا مَنْ ترى خفايا القلوبِ ولَسْنَا نراكاً

أحبُّكَ حُبَّيْنِ؛ حُبُّ الهوى وحبًّا؛ لأنكَ أهلٌ لذاكاً

فأما الذي هو حُبُّ الهوى فشغلي بذكرِكَ عمّن سواكاً

وأما الذي أنتَ أهلٌ له فكشْفُكَ لي الحُجْبِ حتى أراكاً

ووصل الحب قلبي؛ فرأيتُ المحيِّين رؤيا القلب قبل أن تراهم  
العين، فدعوت الله أن أراهم؛ فبعث لي صحبة لم أكن أرجو خيراً منهم  
صدقاً.. عائلة الروح والمحيين، جلسات من دروب الحب قذفت بقلبي  
محبّتهم ومحبة العاشقين، وما أجمل الحب الإلهي إن فتح نوراً  
بالقلب!

أخذتني إحدى صديقاتي لأحضر معها، ولم أتردد، وإن جال  
بخاطري بعض الرهبة ولوعة الشوق بعدما حكّت لي عن جمال  
الدروب وعن صدق الحب الإلهي، وما كنت أريد غير الرفقة؛ فكانت!

شهورٌ مرّت كومضات سيارات مسرعة بمرضِي حينها، وأزمنةٌ مرّت  
بالروح، أرى وأسمع وأحب (الله) الحبيب الودود الرحيم، هكذا كان  
الحب والودّ والرحمات تملؤني، وأنارت ظلمتي.. نوراً عاد لي حتى  
شفيتُ، وشفي القلب أيضاً.

## -ديالارا-

ومضات تتناقل بعيني ودموعي الساقطة حتى هدأت، صوته الهادئ أعادني لسابق عهدي، كيف لصوت أن يجلب لقلبك هذا الشعور بالأمان معه، وإن كان صاحب الصوت ليس معك؟!

انتظرتُ خارج غرفة المشفى بعدما نقل يوسف بالإسعاف بعدما اتصلت بهم، ولا أشعر بجسدي، كأنما فككت منه أجزاءً كانت تتصل ببعضها بعضاً، ولم أعد قادرة على الحراك أو الانتباه.

(طقطقة أصابع بجانب أذني)

رأيتني أمام البحر أفف هناك، وإلى جوارِي يوسف! نظرتُ إليه مبتسمة؛ حتى سحبتي عيناه الزرقاوان بداخلهما، وبينما أنظر إليه وجدتُ يدًا أخرى تسحبني بعيدًا عنه.. إنه مازن، لم يتحدث إليّ، بل سحبني دون أية مقاومة منيّ، لم أعتد على جرأة مازن؛ فشعرت بالخوف منه، ولكنه نظر إليّ وكانت عيناه تملؤهما الحيرة، عدتُ ببصري حيث يقف يوسف ولم أعد أراه، وكلما أدرتُ وجهي لأبحث عنه لا أجده، مرّ العديد من الناس حولي وما زلتُ لا أرى يوسف، حتى قام مازن بلفت انتباهي نحو..

(طقطقة أصابع بجانب أذني)

أصوات مختلطة حولي، ورائحة غريبة تغزو أنفاسي حتى انتهت، فتحتُ عينيّ لأراني ممدّدة على أحد أسرة مشفى، والرائحة الغريبة التي لا أحبها كانت هي رائحة تلك المستشفيات التي أكرهها منذ مرض والدي، رأيت حولي ممرضتين وسيدة أربعينية لا أعرفها، قامت إحدى الممرضات بممازحتي، ولم أقو على أي مزاح، وبيدي "كانولا" تذكرتها قبلاً عندما تُوقّي والدي وضعتهما عندما أغشي عليّ، انهرتُ تمامًا وظللتُ أبكي، حتى تلك السيدة ظننتها أمي لوهلة، كانت تقف إلى جوارِي

بالمشقى بعد صدمة وفاة والدي منذ سنوات بعيدة وانهباري، اضطرب قلبي لتذكري هذه الحادثة، وأردت أن أقفَ على قدمي تاركة هذا السرير، ولكن يبدو أنني لن أقوى على ذلك.

لا أدري كم مرّ من الوقت، ولكننا صباحًا وأنا أغفو وأصحو وأبكي كلما اضطرب قلبي، علمتُ بعدها أن السيدة هي أم يوسف، وهي تمر لتطمئن عليّ من فترة لأخرى، لماذا أشعر أنني اتصلتُ بأمي؟ كل ما أتذكره أنني اتصلتُ بـ "Mum"، ولكن صوتها كان غريبًا عليّ.. علمتُ بعدما أفقتُ وتوقفتُ عن البكاء أنني في صدمتي بحادثة يوسف اتصلتُ بوالدته، ومع كلمات مهمة مني قادتها إلينا بالمشقى، وبعد ساعات قليلة رأيتُ أصدقاءنا بالفرقة، كلما صحتُ رأيتُ واحدًا منهم: فأشعر كأنما أنا في حلم ولستُ بالمشقى، وعندما أنام أصحو فزعة ومرهقة، وأتساءل:

- ماذا حدث ليوسف؟ لا أحد يخبرني!

حتى لم أعد أريد أحدًا غير أُمي ومازن، وبينما تتناقل عيناى بفعل مخدرٍ ما وضعوه لي؛ لأهدأ، تهيأ لي أنى أرى مازن يأتي إليّ مسرعًا، لم أشعر بنفسى غير أنني بكيتُ وبكيتُ من كثرة شوقى إليه، وأحطه بذراعى حتى ارتخيا، ولم أعد أشعر بعدها بشيء!

## -مازن-

حضنتها بشدة..

حضنُها الصغير المتسع لي لحب ماضٍ جلب لي روعي التي تركتني منذ عقود، حتى أعادتني هي إليها.. لروحي المتصلة بروحها.

بكت ديلارا كثيرًا عندما رأيتهَا، ويا لها من جميلة وإن بكت عينها! أمسكتُ يدها لتهدأ، ولكنها لا تدرك ما بها، عينها شاردتان ومعلقتان بي: حتى أُغميَ عليها فجأة، وسقطت روعي العالقة بها أيضًا في عالم آخر.

جلستُ إلى جوارها بعدما استدعيْتُ إحدى الممرضات لحالتها غير المستقرة.. ودمعتُ عيناها، تذكّرتُ كيف وضعتها بنفسها يومًا بالمشفى بعدما تُوفي والدها وأصابها صدمة شديدة لم تتحملها، كم أنت رقيقة وصغيرة يا فتاتي على هذا العالم القاسي! إن صوتها الذي بعث لي في تلك الليلة أصابني بالرهبة والخوف عليها، ترددت لحظتها أن أتصل بالرقم الذي أرسل الرسالة، ولكن حدسي أخبرني أن أمرًا ما قد حدث لديلارا، وعندما قمْتُ بالاتصال وأتَى إليّ الصوت الأحب إلى نفسي، وكذلك أتى توتر من نوع خاص؛ فبي تستغيث!

لا أعلم عنها شيئًا منذ فترات، ولا ماذا حدث لها؟ وإلي أين قد أذهب؟!

كلماتها كانت مهمة تحوي اسمًا جعل عقلي يصارع قلبي، من هو يوسف الذي تخبرني عنه؟! ولحظات أخرى من الكلمات المتقطعة أردتُ أن أعرف أين مكانها؟ حتى انقطع الاتصال ومحاولاتي العديدة، حتى أمرتها أن تتصل برقم محدد.. رقم الإسعاف، وأن ترسل لي موقعها عندما تصل السيارة حتى أتتبعها، ولتوترها لم تُنقذ هذا، وتركتني في

حيرة زائدة حتى عاودت الاتصال على رقم الهاتف الباعث في قلبي  
الخوف والرهبنة.

اتصالاتي المتكررة كالمجنون وأنا أدور حول نفسي بالمنزل لا أعلم إلى  
أين أتجه؟! وقمتُ بالاتصال بأحد إخوتي الصغار؛ ليكون مع أمي،  
وكذلك نوران، حتى جاء لي الردّ أخيراً بعد ساعات من الاتصال  
المتلاحق، وأسمع صوتاً رناناً لسيدة أكثر هدوءاً وقلقاً في آن واحد، وعن  
طريقها علمتُ بمكان المشفى، وقادتني قدمائي إلى الإسكندرية؛ حيث  
فتّاتي الهاربة!

هي الآن بالمشفى في حالة صدمة شديدة من الحادثة التي قادها  
إليها المدعو يوسف بهذا الوقت المتأخر من الليل، فأين كانا؟! وإلي أين  
كانا ذاهبين؟! وماذا كانت تفعل؟! عقلي مشوّش للغاية وروحي تختنق..  
أجلس بجوارها.. أشتاقها كثيراً، ولكني أشعر بالغضب يسري بدمائي  
المحتنقة؛ فيشعلها حتى أصابني صداع لا يحتمل، وها هي قدرتي على  
التحمل تُسْتَنْفَذ، وينبغي أن أكون هادئاً، وإذا صراع آخر لم يكن لي في  
الحسبان.. لمسةٌ يدها تعيني على التحمل على الرغم من تهتكّ خلايا  
دماغي ونبض قلبي الذي صار مسرعاً تارة وهادئاً كأنه حامل تارة  
أخرى.

نظرتُ إليها وهي نائمة أمامي.. ملامحها كما عهدتها، ولكني شعرتُ  
أن شيئاً ما قد تغير! ليس فقط شعرها الفجري الكثيف وبقايا من  
مكياج على وجهها المخملي، ولكنه شيء آخر.. إنه بالقلب، تلمسه روجي  
وإن لم تره عيني!

## -نوران-

"الذين أحبّوا الله، ليس فقط أكثر من كل متع الأرض، وإنما أكثر من الحياة ذاتها؛ فقدموا حياتهم من أجله، واثقين بأن هذه الحياة لها امتدادٌ معه هناك في الأبدية، هكذا تركوا الدنيا كلها بما فيها، ومعه لم يريدوا شيئاً على الأرض ولا حتى أن يعيشوا فيها.. إن الذي يحب الله ويكتفي به يكون مستعداً أن يترك أي شيء من أجله، أو كل شيء من أجله.." (الإنجيل)

كلماتٌ مرّت بقلبي وعقلي وأنارت بداخلي هذا السيل الدافئ من الحب إلى محبوبي الأول وخالقي حول كل شيء؛ فلم أعد نوران الفتاة التي أغلقت بداخلها معاني الحب؛ فصرتُ بكل لغات العالم أعشق، وبكل لغات المحبين ينطق قلبي ولساني بالمحبة، والله معي أينما ذهبت.. الله محبوبي أعطاني فرصة أخرى للحياة، ولكنها ليست الحياة السابقة؛ إنها النور بالقلب والوصل والمحبة واتصال الروح، ترددتُ على أماكن عدة بعدما كانت تسوقني قدمي سابقاً، حتى أصابني ما حدث وتوقفت الحياة بعيني، والقلب زاده انكسار اللوعة والحسرة على ما فاتني!

صارت روجي هي من ينير لي دربي، والقلب عاد إليّ يقودني إلى حيث نسائم المحبة.. زياراتٌ إلى آل البيت وستنا أم العواجز، وكم أراح وأزاح ما بي من هم حتى تعلقت بهم وصرّت أستحضر أنوارهم بصدري وأراهم بأحلامي، وتجوّلت بالكنائس، وسمعتُ صلوات لم أعهد لها بهذه الحياة وعرفها قلبي.

كانت صلاة صامته بعيون كل من كنتُ أراهم.. في دعواتهم المختبئة، وأنرتُ الشموع بدعواتي لتنير ما عتّم بداخلي، ولأفتح لروحي أبواباً من نورٍ، ولا بهالاتي بأن تزح الهيم وما قد علق بروحي، بدموع

شفافة حانية سقطت وسقط معها كِبْرُ كان يشغلني عن صلاتي وهي نسكي ومحياي، ولصلاة القلب والروح حياة أخرى.

رأيتُ بمازن عمتي السابقة، وانكساره أعاد إليّ لحظات ماضية؛ حتى رأيتُ به نورًا معلقًا حوله كأنما يريد أن ينبثق من هذه الظلمة حتى ينجلي، إن الله يحبُّنا كثيرًا ولا يريد لمخلوق أن يحزن ويتألم؛ فما تعلّق إنسان بالبشر حتى أصابه الوهن والهوان، فوالله تعلّق الجسد يأخذك بعيدًا حتى تعيدك قوَيّ الروح؛ فيطيب القلب ويهدأ العقل وتلتقي بالروح؛ فتعيدك لأصلك.. واحد.. روح وجسد ونفس متصلة بالله، وتزيل ما عانيته من تعلق؛ حتى ترى عجائب قدرته فيك وفي العالمين، وها هي روح مازن تريده أن يرى النور؛ فيذهب الألم ويتزاح الهم وتنير الظلمة.

## -ديلارا-

Hold me close and hold me fast  
The magic spell you cast  
This is la vie en rose

When you kiss me heaven sighs  
And though I close my eyes  
I see la vie en rose

When you press me to your heart  
I'm in a world apart  
A world where roses bloom

دندونات تترافص بأذني.. رأيتني أعزف على جيتاري "La Ve En " Rose، وينظر إليّ يوسف بعينه الزرقاوين المحببتين لي، ومع الكلمات أغمضت عيني، وتذكرت مازن عندما كان يطلب مني غناء هذه الأغنية، شعرت بيده تلامس كفيّ مرددًا اسمي، فتحتُ عينيّ لأرى مازن بالفعل يجلس إلى جواري، ورويدًا نظرتُ حولي لأجدنا في غرفة مَشَقَى. تذكرتُ حينها أن حادثًا ما قد حدث لي وليوسف، تجمدتُ أطرافي وابتلعتُ كلمات أردتُ أن أُحدّث مازن بها؛ فلم أستطع أن أنطق بشيء، لمسته الحانية أعادت إليّ أمانًا فقدته منذ فترات لم أعد أعلم مدى بُعدي عنه، أعادت إليّ أيضًا صديقي معها..

ديلارا:

- هو إيه اللي حصل؟! وإزاي؟! انت؟! -

مازن:

- بالراحة.. ماتفكريش كثير..

في حينها دخلت الممرضة والدكتور المتابع، عندها نظرتُ أبحث عن أصدقائي بالفرقة، وجدت إكرام خارج الغرفة وعيناى المعلقتان بالخارج جعلت مازن يعلم ما أريد أن أسأل عنه، لم يعرف بعد يوسف، ولكنه نظر إليّ بهدوئه المعتاد، وكما كان يفعل يحتويني دائماً ويعرف ما يجول بخاطري..

مازن:

- ماتلقيش حالته استقرت.. هي شوية كسور، وفاق من شوية وسأل عليكى كمان..

ديلازا:

- يوسف..

دمعت عيناى ولم أستطع إخفاء ذلك، وضع مازن يده على رأسي ملامساً لشعري مهدداً لي ومداعباً..

مازن:

- شكلك كدا أحلى.. بقيتي شبيهك وشبهه روحك.

ابتسمتُ رغماً عني.. كم افتقدتُ مازن! ولكن يا له من وجع يسكن في عيناى، وشعوري أنني تركتك، كما أبدو أنني لا أبالي بك وبجذبك لي، انتفض قلبي.. وشعرت أن قلبه انتفض أيضاً؛ فانسحبت يده فجأة من بين يدي، وأزاح بصره بعيداً عني.

دخلتُ صديقتي إكرام الغرفة لتتثنى لي من هذا الشعور المختلط، وبلهجتها المغربية جذبت انتباه مازن إليها..

إكرام:

- لا بأس عليكِ حبيبتي.. مرحبًا.

مازن:

- أهلا بيكي.

وجلسْتُ إلى جوارِي، وقام مازن بالخروج مبررًا أنه سيقوم بعمل  
ما، وليطمئن على حالتي من أحد الأطباء، دائمًا يحميني؛ فهو من تبَقَى  
لي.. صديقي المفضل وأعزَّ ما أملك.

## -يوسف-

أمسكت بي جيداً.. تحيطُ جسدي بذراعها، كنتُ أشعر بنبضات قلبها تتسارع حيناً وتهدأ أخرى، أنفاسي تحترق وقلبي مُولَعٌ بها؛ معها اختلف كل شيء..

كنتُ أشعر أنني يمكن أن أطير، أن أخلقُ بها بعيداً، التهمت الطرقات، وبينما قلبها ينبض خلفي وأشعر بها حتى سقطَ قلبي في سكون عجيب، ولم أعد أشعر بشيء بعدها.

ساعة.. دقائق.. بعض الوقت، ربما أكثر؛ حتى شعرتُ بنفسي وجسدي المتألم، ولقطات سريعة تبدو خاطفة من حادثٍ ما، تنهدتُ وبدأتُ أستعيد أنفاسي المضطربة، وعاد قلبي الساكن إلى إحساس ممتلئ بالقلق، أكره هذا الإحساس الذي يبدو من سخافته رغبتِي السابقة في الإقلاع عن التدخين، وأن يروني وأنا أدخن؛ فيعيدون لي الحديث بمساوئها.. شعور مماثل لهذا وأكثر. وباللغرابة! أجد أُمي أمامي.. ماذا حدث؟! ولم هي هنا؟! وكيف عرفت؟! وماذا حدث؟! وبعد وقت من الفحوص العديدة استوعبتُ الحادث الذي قمتُ به، واضطرب ذهني كثيرًا لما مرّت به ديلارا، وما وضعتها فيه من خوف وقلق وتعرض حياتها للخطر.

أردتُ رؤيتها، ولكني مقيدٌ بسريري، كُسوري ليست بالأمر الجلل، والمؤلّم هذا الضلع الذي كُسر وأخذني لجرعات من المخدر وزوالها السريع.. اطمأننتُ عليها من أصدقائنا.

كانت ساعات طويلة شعرتُ فيها بالاختناق أكثر من تلك الأيام التي كنتُ أمضيتها مع أُمي بالمنزل، وها هي تقف إلى جوار سريري في هدوءٍ لا يشبهها! أين غضبها المعتاد وتحكمها فيما يخص كل ما حولي؟!!

ومعاملتها لي مثل أحد ممتلكاتها، لِمَ هي لطيفة هكذا؟! وتأتي إلى بُعد هذا الحادث! ليس الأول على كل حال، ولم تأت من قبل!

لم أكن في حالٍ جيّدٍ للتحدث معها أو الجدل، يكفيني مجادلة نفسي عمّا فعلته بالفتاة التي أحبها، وكيف أنّهم أخبروني أنّها فزعت مما حدث، وانهارت لاحقاً بعدما نقلوني إلى المشفى.. لم أستطع أن أراها، ولكنني علمت أنّها ستكون بخير على كل حال، تعجبتُ كثيراً من وجود أمي وأنها لم تهزني بعد لإهمالي بصحتي وتهوري، وما سبّبته بالحادث.

أشعرتني أصدقائي بمرور هذا الوقت الثقيل، وهذا أفضل ما في الأصدقاء بهذه المواقف.. بهذا الحادث.. وهذه الأزمة، وتلملمي لرغبتني المميّنة في التدخين، ولا يمكن أن يكون ذلك، إلا أنّهم جعلوني أفيق ببعض الضحكات والسخرية.. ممتنٌّ لسخافتهم هذه، وممتنٌّ لوجودهم معي.

## -مازن-

حاولتُ أن أمحو هذا الشعور المزمّن بتكرار إخفاقاتي، ولكني لم أستطع! كلّمّا أردتُ أن يزول هذا الانقباض القابع بداخلي تاركًا لي توترًا متلاحقًا في أمعائي، هدوئي الزائد لا يدلّ على عدم رغبتني في الحديث، ولكنه الموقف.. عليّ فقط أن أكون هادئًا ولا أُحدِثُ جلبلة ما.

تحسّنتُ ديلارا قليلًا، وعلمتُ منها أنها تسكن مع فتاة معها بالفرقة الموسيقية (فتاة مغربية) وأنها بخير، فلم أعد أفهم عليّ أن أكون معكِ أم ماذا؟! ولكن ربما عليّ بالفعل الرحيل، وعلى الرغم من اطمئناني على والدتي من نوران، إلا أنني لا أشعر براحة تامة لتركها بهذه الحالة: فهي مريضة للغاية وليس لها غيري بهذه الحياة، لم أرَ أمي يومًا بهذه الحالة السيئة من المرض، ولكنه قدرها وأمر الله، وليس لي غير أن أكون بجوارها حتى تتحسنّ، وهذا يريحني أيضًا؛ فهي صفاء وشفاء قلبي.

وبينما مرّت بي الساعات في تواتر بطيء حتّى وصلتُ مع ديلارا إلى شقة رفيقتها، وبعدما أطمأنت علي صديقتها الشاب الذي لم أره بعد حين تركتها تذهب إليه، وقلبي ينبض حبًا وتنافرًا، لم أعرف ماهية هذا الشعور؛ فقد كنتُ أتقلّب منذ فترات بين اشتياق ونسيان، وقبل أن أنسى ها هي تعود رغماً عنها وتحطيمًا لأعصابي، وبينما مرّ بعض الوقت حتى هاتفتني نوران، انقبض قلبي مجددًا وصوتها المبحوح المتوتر جعلني أوقنُ أن شيئًا ما ليس جيدًا بها!

نوران:

- مازن.. معلش إنّي كلّمّتك تاني بسرعة كده!

مازن:

- في إيه يا نوران؟! قولي..

- والدتك تعبت تاني، وأنا أخذتها على المستشفى.

وضعت كل ما في يدي عندما كنتُ بمنزل إكرام من حُسن ضيافتها المغربية كما قالت لي ديلارا، ودون أن أنطق حرفاً كانت عيناها تفضحني خوفاً وقلقاً، رأيتي ديلارا وكما كنا صغاراً.. كنا نفهم بعضنا بعضاً من نظرة واحدة.

ديلارا:

- طنط تعبت؟

مازن:

- أيوه، ومحتاج أسافر.. انتي هتبقي..؟!

- ماتقلقش.. أنا كويسة!

- هبقى أطمئن عليك.. أوزي ما تحبي!

- حاضر هطمئنك.

أسرعتُ بخطاي تفترس خطواتي الطريق لمحطة "الباص"، وتحديثي مع السائقين عن الأسرع بينهم للقاهرة؛ فقد كنتُ أريد أن أكون بجوار أمي بالحال، ولكنه القدر وضع لي خطته بأن لا أكون هناك ومختبراً لتحملي.

حسناً.. ماذا فعلتُ لأكون بهذا التشتت بين ما يجب أن يُفعل وما أفعَلُه وما لم أستطع أن أغيره؟! ولكن عقلي تجمّد، وحينها تحركت السيارة عائداً يغالبني الندم والشك والحيرة.

## -ديالارا-

عدتُ إلى حيث البداية..

إلى حيثُ بداية هروبي..

أن أهرب من نفسي.. من مشاعري الخاصة.. من أن أجد في هذه الحياة شيئاً يشبني، أو أن أخلق حياة أخرى تكون لي لا تشبه ما قد مررتُ به قبلاً، ببذوق قلبي هسّاً للغاية كما كانوا يقولون لي منذ صغري، هكذا شعر مازن وترى أمي: أنني لا أقوى على هذا العالم! ربما هذا صحيح.

ولكني لست بهذه الهشاشة وأنا أخلقُ عالمي الخاص، ولكني فقط لا أريد أن أكون مقيدة، أو أن أكون بلا إرادتي، وهذا جعلني في حيرة؟! لماذا؟! لأنني لم أكن يوماً أمامهم تعيسة، كنت تلك الفتاة المرحّة ذات الألعاب الطفولية والوجه البشوش، لم يروا بكائي مراراً بعد وفاة أبي، لم يروا كم اشتقتُ إلى حنانه أو إلى قسوته! أن لا أحتاج أحداً طالما أبي يقف خلف ظهري شامخاً مهيباً؛ لكلّ من ظننتُ أنهم وحوش ضارية بالحياة، علّمني الشجاعة والأمان؛ ففقدته، لم يروا عندما كنتُ أتفقد صورنا وأنا صغيرة أجلس بين قدميه يحتوي حجري الصغير، وأشعر بالأمان هذا الذي سلّب مني ولم يعطه لي أحد، لم يعلموا أن أبي ترك لي خيارات عدة للحياة، ولم يختار لي بل تركني حرة، بل كان يجعلني أتحمّل أخطائي ويشعري أنني أستطيع، وأني قوية؛ فلماذا يظنون أنني هشة؟! أهو انصياعي لرغبات أمي حتى لا أفقدها هي أيضاً مبكراً؟! أو أن أجد نفسي وحدي؟ أم هو مازن ورغبته الدائمة في حمايتي؟!

كثيرًا ما كنت أحتاج له كصديق وليس كحامي شخصي لي، أردتُ أن نكون مغامرَيْن معًا.. أن نخطئ.. أن نهرب سويًا، نفعل ما يحلو لنا، ولكنه كان لي حارسًا أكثر من كونه صديقًا، أردتُ أن أختبر الحياة والتي لا أعرف إلى أين قد تأخذني؟! عالمي من الموسيقى والسفر والأصدقاء، ولهذا رحلت.. وعندما وقفتُ أول مرة أمام يوسف دقَّ قلبي لأول مرة بطريقة مختلفة، وأخيتي أن أخبرَ مازن بهذا، ولكني حقًا أحبّ مازن ولا أعرف ماذا فعلت؟!

ماذا فعلت أنا؟!

ماذا فعلت بمازن؟!

جلستُ أبكي، حتى تمالكتُ نفسي سريعًا تاركة كل شيء بالإسكندرية، ورحلت..

## -نوران-

دعواتنا ما هي إلا شفاء لنا ولأرواحنا معها..

كنتُ أدعو الله كثيراً وأنا في المَشْفَى، وأعلم أن أمر الله نافذ لا محالة، ولكني أدعو الله بالرحمة.. أدعوه بالمغفرة.. أدعو لمازن ولأمه ولي.. أن يُذهِبَ البأس وأن تنحل هذه الأزمة، واللهُ يعلم وأنتم لا تعلمون.

رأيتُ مازن يأتي إليّ مسرعاً يكاد قلبه يقفز خارج جسده، وكطفل صغير وجد أمه أتى إليّ، عيناه تترقق بالدموع محاولاً إخفاءها، أخذته من يده إلى حيث ترقد أمه المتوقّاة، يدها تحوَّلت بين يديّ إلى كتلتين من الثلج، وعندما رآها هوى قلبه بين يدي، وتلك الدموع الحبيسة صارت تعلن عن نفسها..

إنه الموت..

إنه الموت عندما يأتي ويأخذ منا من نحبه، ويصير القلب ثائراً علينا ونعلن أنه يتمزق، اللهم رحمة.. اللهم سكينه.. اللهم اغفر لنا.

كانت مريضة جداً، وصبرت كثيراً، وجاء موعدها، وحينها وكلُّ منا له موعد وله لقاء، لا أخشى الموت، ولكنه الفراق.. إن الموت يأخذنا إلى عالم أرقى وإلى الأحنّ والأحبّ لقلوبنا.. إلى الله ♥.

ولكنه فراق المحبين، وإن الموت هو مصيبة الأحياء وراحة الراحلين، يأتي لنعلم أننا أيضاً راحلون، وأن حياتنا ما هي إلا رحلة؛ فلنترفق ببعضنا بعضاً ونكون بها معاً.

ولعلمي بكل ما يجب أن أقوله لم أجد حرفاً يسعُ هذه اللحظة الصامته؛ فنظرت إلى صديقي الجزع، وجلست إلى جواره وهو يبكي أمه للمرة الأولى، وعدتُ أدعوه وأردد دعائي بصوت خفيض.. يسمعه..

(اللهم صبرنا على الفراق.. واغفر لنا ولها)

## -يوسف-

بسرعة فائقة.. كل شيء ضبابي وقلبي وأنفاسي كله يختلط.. كل شيء صار سريعًا دون أن أفعل شيئًا، ولمحاولتي بكل استطاعتي أن أتمالك نفسي؛ يتكرر الحادث مرارًا أمام عيني، حتى يتركني معلقًا بتلك النظرة الصارخة من الفتاة التي أعشقها، وصراخٌ مدويٌّ بأذني.

عدتُ من المشفى بعد مرور أسبوع من الفحوصات والتعافي، كان الأصعب لتجاوزه، ولكنه لم يكن الأصعب في حياتي؛ فقد كانت ثاني حادثة أمرّ بها، فكّرتُ كثيرًا في هذه الفترة بإقامتي الإجبارية بالمشفى، ووجود أُمِّي حتى نصحبها الأطباء أنه يلزمني الراحة بالمنزل الآن، ووجودها معي جعلني أشعر بالغرابة لم أعتد وجودها منذ زمن طويل، ولكنها أُمِّي على كل حال، كانت فقط تتركني عندما تريد أن تدخّن إحدى سجائرها وتشرب قهوة بالكافتيريا؛ فترجّع عقلي قليلًا من أحاديثها معي!

كل هذا لا يهم؛ فقد كان عقلي مشغولًا بـ"ديلارا" وكم أفتقدها! فقد سافرت فجأة، وإن قلبي الذي تاق كثيرًا للحظات الحب أخيرًا وجدها، وعلى الرغم من زيارتها لي مرة ورسائلها الدائمة ومحادثتها لي لأكون بخير، ولكن لا؛ فهناك ما ينقصني وسأكون بخير إن كانت هي معي.

أفتقدها وأريدها!

تخيلتُ كل المشاهد التي يمكن أن تحدث وأنا أراها، ومحاولة إخبارها بمشاعري نحوها، وتذكرتُ ملامحها التي تنسيني أُمِّي أفضل من المسكنات، وكيف كنا مع بعضٍ لشهور منذ أن جاءت إلى عالمي، وانطلاقنا وصوتي وأنا أغني لها، وهي تعزفُ أمامي حتى تخجل وتغلق عينها عني، وعن طفولتها وجمالها الهادئ، ومزيج شعرها الهائج يجذبني إليها دائمًا، لم أعرف أحدًا يشبهها، ولهذا أريدها.. أريدها أن تعود للإسكندرية في أقرب وقت، وليكن ما يشاء أن يكون بيننا.

## -مازن-

جلستُ واضعًا كفاي على وجهي كأنما أردت أن أخفي كُلي  
بداخلهما..

شعرتُ بهذا الألم المتسلل بداخلي ينخرُ عظامي؛ حتى ما عدت  
أستطيع أن أتحملة.. قلبي يهوى للأسفل وروحي معلقة، دقائق مرّت،  
ربما وأنا وحدي بين عالمين! واقعًا لا أشعر به، وآخر أرجو منه أن  
ينتشلني من هذا الألم.. لحظات حتى بدأت دموعي تتساقط على كفي..  
انسيابها جعلني أهدأ، هي قطرات صغيرة تفيضُ بقلبي كله، شرد عقلي  
تمامًا حتى صار الضجيج حولي بالمشفى يصارع عقلي الساكن، عدتُ  
إلى واقع يؤلمني كثيرًا؛ حتى نسيتُ كيف أعيش بدون هذا الألم،  
محاولات عديدة لا أتذكر منها، غير أنني كما عهدتُ نفسي مسئولًا عني،  
وعن أمي وعنهم جميعًا.

إن أمي كانت حزنًا دافئًا لي، وحضنها كان ملاذًا الهروب لي، ولكنها  
رحلت الآن وعليّ أن أدرك ذلك، أشعر الآن أنني مثل طفل قد فقدته أمه  
بالزحام، أريدها.. أريدُ أن أبحث عنها، وأجدها تفتح ذراعها لي بكل  
دفع العالم.. وأن تحضنني هي لتمحو ما فعلته الحياة بي، وتطمئنني  
كما هي عادتها، وأن كل شيء سيكون بخير وسيمرّ، وأني قرّة عينها  
فلا أحزن.

وبينما يتهاوى جسدي على الرغم من وقوفي ثابتًا بهذا الصرح  
الأبيض الحزين، حتى وجدت يدًا حانية أعرفها جيدًا التفت حول  
يدي، وبينما أنظر إليها بعينين خاويتين حتى حضنتني، وكان حضنها  
الصغير منتشلاً لي من غرقي الشديد؛ فتركتُ نفسي له.. بصمت لا  
يصفه حرف، شعرتُ بكل نبضات جسدي كأنما كنتُ أفارق الحياة  
منذ قليل وأعادتنني هي، مثل أجهزة الإنعاش تلك للحياة والتنفس

مجددًا؛ فيتدفق الدم محملاً بدفء أنفاسها ونبضات قلبها، حتى صار قلبي ينبض معها مجددًا، هي أيضًا كانت ملاذي الهارب، وها هي تُعيد جسدي لي.. نظرت إلى وجهي، ولكني لم أستطع أن أنظر إلى عينيها؛ فقد كان انكساري يؤلمني، أشحْتُ النظر عن ديلارا الممسكة بيدي، وبحثت عن ملاذٍ آخر يمكنني أن أتهاوَى أمامه؛ فكانت هناك، ها هي نوران تنتظر لقائي بديلارا، ولكنها انتهت لطول نظري إليها؛ فجاءت إليّ مسرعة تعلم أنني لن أقوى على ذلك.

أخذتني قدماي لجسد أُمي بعدما قاموا بتغسيلها لوداعي الأخير، ولقبلة أخيرة من جنتي الراحلة، ولتكن الأرض كما هي قاحلة لا تروي أبدًا، رأيت وجهها النوراني؛ فسكّن قلبي، إنها بالجنة الآن ومستبشرة برهما، وحينها فقط علمتُ أن لا أحد يشبه أُمي، وها هي قد رحلت.

## -ديالارا-

ضباب...

لحظات من الثقل حتى صارت الحياة كغيمة كثيفة أمام عيني.. أكاد لا أرى شيئاً، مشاعر متضاربة كموج بحر الإسكندرية التي هربتُ إليها، وعقلي وحديسي معاً جعلاني أقف أمام مازن بعدما تتبّعته بأقل من ساعة إلى القاهرة، وبحثت عنه ورأيتَه، وها هو شعوري نحو مازن صديقي المحبّب ورفيق طفولتي.. إنه يتألم فاقداً لأهم وأحب البشر إليه، لم أتمالك إحساسي وأنا أحضنه وهو صامد لا يئن.. لا يشكو، ولا يصدر صوتاً؛ فتنانغ قلبي حباً وخوفاً ساحباً إياي لأمي!

كيف تركتها طوال هذا الوقت، وشهور عدة لم أرها فيها، وكلما اشتقت إليها أرسلت لها رسالة على الهاتف أني بخير، وتقوم هي بإرسال دعوات، لم أستطع أن أجعلها تتوقّف عن البحث الدائم عني، وعندما حضنتُ مازن شعرتُ مثلما تشعر طفلة تائهة عادت إلى أهلها، ولكني أفتقد أمي.

تركتُ مازن مع نوران، الفتاة التي علمتُ منه أنها صديقتَه ومأمَنه الحالي، كما رأيتُ في عينيه، وأسرعتُ بخطأي إلى ملاقة أمي، موتُ والدة مازن، وكم أحببتها لطبيتها نحوي دائماً جعلني أشعر بالخواء، ولم يذهب عني هذا الشعور إلا عندما وجدتها تنظر إليّ في فرحة غمرتني بسعادة فائقة. لم أتمالك دموعي وارتعاشة قلبي... إنها أُمي كما عرفتها وحضنها الحنون، كيف يمكن أن أنساها؟! وقد كنتُ أهرب ولا أعلم متى سيحين موعد عودتي؟! ولكن ها هو قد جاء.. دموعها ودموعي لم تترك لنا الحديث؛ حتى حدثتها بما في نفسي:

ديالارا:

- أنا أسفة يا ماما! حَقِّك عليا والله.. أنا عارفه إني زعلتك  
وسيبتك.

راقية:

- لا يا حبيبيتي.. مش عاوزاكي تعيطي! الحمد لله إنك رجعتي.. يا رب  
ليك ألف حمد وشكر، استجبت دعايا ورجعتلي بنتي وردتلي روجي  
معاها.

صوتها الدافئ حوّل دموعي إلى ضحكات لم أستطع أن أخفيها.. حزن  
مخلوط بسعادة، وخوف ممتلئ بحب؛ حتى تلاشى قليلاً الخوف،  
وأغمضتُ عيني عنه وحضنتها مرة أخرى طويلاً.

## -نوران-

رحماتُ الله تسع قلوب البشر، ويحنو علينا بسكينته، لا نعلم من أين تأتي فلا نجزع، إنما نهدأ ويتضرع القلب في سكون.

مرت أوقات كثيرة عصبية لديّ، وكنت دائماً أردّد الدعاء، وأن الله معي لا يخذلني؛ فيحميني، وأن الله هو القادر على انتشالي من الحزن ومن المصيبة ومن الابتلاء، وأن أقدارنا التي نشاء؛ فهي مشيئة الله، وإن لم نشأ فهي أيضاً مشيئة الله، والله يجلبُ لنا أمره محملاً بالرحمة والحب، ونتعلم حينها التسليم له ولمشيئته.

والموت حقيقة. والحيوات تتوالى حتى نعتادها؛ حتى نصحو على غفلةٍ منا على حقيقتها، أنها عابرةٌ وأنا في رحلة، فلنتصاحب بالحببة ونكُن رفقاء رحلة محبين، ولنمضي يوماً إلى حيث الحقيقة.

عيناه تتعلق بي كلما نظرتُ نحوه، شعرت به كما لم أفعل من قبل؛ فاهتزّ بداخلي سكوني وارتجف، ويقفز قلبي خارجي عندما أنظر إليه.. مازن يتعلّق بي كالتائه الذي يستدلّ على طريق يسلكه، وأنا إلى جواره ومعه لا أعلم إلى أين تقودني قدماي، ولكني أسمعُ روعي دائماً منذ أن عدتُ إليها، وبعدما تألمت نفسي وترددتُ على مجالس الحب ودروبه وزيارات الأولياء أحباب الله وأحبابي؛ حتى هدأتُ وأسندتُ نفسي لأقف وحدي، وفتحت بين ضلوعي للنور حتى أخرج الألم مني.

ولكن مازن بداخلي أشعر بذبذباته تحيطني هذه المرة، كفتت عيني هذا التوتور وترققتُ بنفسي محدثها..

- ليس الآن! لا مشاعر الآن!

- لكنه الحب إنني أشعر به.

- إني خلقتُ منك أيها الحب، ووالله ما وجدتُ لذةً في الحياة كحبِّ  
يقوِّني.

- إذا لِمَ تخشيني؟!

- إني أخشى أن أعود!

- لا تخافي..

- ربما هلكت كما هلكتُ سابقًا!

- الحب جريانه كالماء في المهر لا ينضب ولا يجف؛ فهو متجدد،  
ولكن إن وضعته في أناء حتى تحتفظي به خذلكِ وصار راکدًا لا يرويكِ  
إلا قليلًا؛ فلا تخافي الحب.

- إنه الحب.. وبالحب ينضج القلب.

- ربما، ولكني الآن يجب أن أعود إليه!

أن أترك أمري كيفما يشاء الله، ولأعود إليه.. إلى صديقي الجزع.

## -يوسف-

أفقد أعصابي..

العجز.. التقييد.. وجود أمي.. رحيل من أعشقها، كل شيء يقودني للجنون، كلما جاء أحد أصدقائي إلى المنزل أغلقنا علينا الغرفة؛ حتى أستطيع أن أدخن قليلاً ودون أن أسأل.. أنت رجعت للتدخين؟! عليّ أن أتمالك نفسي.. لِمَ أمي هنا؟! عقلي مشوّش، ولكن اهتمامها الزائد بي لا يطمئني، حتى قادها الشك لي..

نوال:

- صاحبك نزل؟

يوسف:

- أيوه.

- أوووف.. الأوضة ريحتها سجائر خالص!

- اممم.. معلى هتزوج دلوقتي.

- أمال فين باقي صحابك؟!

- جُو نزل قدامك دلوقتي، وعلي وكريم جُم امبارح.

- لا.. البننت دي صاحبتك؟

في لؤم شديد تحاولُ أن تستدرجني لحديث أعهدده عليها، ولكنها تحيك القصة بتساؤل كعادتها! حديث الأمهات كالعادة! وغمزتُ إلى أمي الواقفة ترتب الحجره في تلملم شديد، كأن غرفتي تشبه بقايا حرب لم تدر عنها شيئاً.

يوسف:

- أنهي؟! أنا صحباتي كثير! مالك يا نونا بس؟ يعني بقالك كثير  
مسألتنيش السؤال دا؟

نوال:

- بطل تشتغلني يا ولد! البنيت الصغونة دي الي كلمتني لما عملت  
الحادثة.

- آه ديلا! سافرت عند أهلها.

- اسمها غريب بس حلو.

- اسمها وكلها حلو!

- طب إيه الحكاية؟!

تهربتُ من أسئلة نوال عن ديلا، وتعلّلتُ برغبتي في دخول  
الحمام؛ حتى تتوقف عن استجوابي! والآن فهمتُ لمَ هذا الاهتمام  
الزائد؟ إنها تشك بعلاقتي بها، وتريد أن تعرف عنها كل شيء.. شعور لا  
يطاق!

فقدتُ الكثير من هدوئي وأنا جالس بالغرفة وحدي أختنق بقدمي  
الثقيلة من الحادث.. حقًا لا أحتمل! كل شيء كان على ما يرام قبل  
حماقتي الزائدة وسرعتي ورغبتي في تسريع الحياة حولي، ها هي تدور  
بالعكس، وتتراجع عني.. بكسوري وقدمي التي أتكى عليها؛ كرجل  
عجوز، بل كشاب وسيم عجوز! فلتبق لي كرامتي!

عليّ التعامل مع الأمر بذكاءٍ، وأبعدُ شكوكها نحوي ونحو ديلا..  
الآن على الأقل..

(ليس وقتًا للتسلط والتدخل يا حاجة نوال)

## -مازن-

قطرات من المياه المتتالية تتساقط، وتُحدِث بي جلبة، على قلّتها إلا أنها تؤثر فيّ كلياً.

ولكن لتوالي تكرار تساقطها شعرتُ معها أن أعصابي التي لم تُعد تتحمل.. تهوى أخيراً، وأن هذا التساقط هو أجزاء من جسدي تسقط واحدة تلو الأخرى، وها هو قلبي النابض يكاد يُلفظ خارج جسدي ويكون بين يديّ، وسقوطاً للأسفل أراني، كأنما الجاذبية عكست بي وحدي أرضاً وسماءً؛ فأنا بالأعلى أراني وعلى الأرض! الأحداث تتوالى وتستمر.. ديلارا لم تعد تخصّني وحدي، وها هو رجل آخر يصادقها وتخشى عليه، وآخرون يبدوون الآن أصدقاءها المقرّبين! ولا أعرف أحداً منهم، بل ولم أعد أعرفها أيضاً.. ها هو جسدي الذي تركني بلا جاذبية إلى أسفل قدمي؛ حيث أرضاً لم أجد غيرها، أميزة عاد إليّ، وعادت الجاذبية، ولكنها أثقل مما ينبغي؛ كأنها تجبرني على أن أبقى مكاني دون تحرك، توقفت قطرات المياه الساقطة من هذا الصنبور الفضيّ بمنزلي، شردت لوهلة.. وعندما أدركته كأنما أدير دقّة حياتي مجدداً، وهداً عقلي قليلاً، حتى قطع شرودي زنين الهاتف؛ ليخرجني مما أنا فيه.

صوتها الهادئ الساكن القادم من الجنة يخبرني أن كل شيء سيكون بخير، وأني سأكون بخير، هي متأكدة من ذلك! ولكني أشعر بالغرق والتشتت، ولكن كلماتها البسيطة التي تشبهها جعلتني أعرف أن بالحياة هناك أشخاص لطيفون للغاية مثلها، تحملتني نوران كثيراً بهذه الفترة، وها هي تبقى معي وتسكن عقلي بكلماتها العذبة. التي ما إن تقولها؛ فتنمو بداخلي حتى تتشابك وتتجذّر كشجرة عميقة، وبدعواتها لي صارت كجذعها الذي يبحث عن الضوء بهذا الظلام الذي تعشّش بي وصار يشبّهني؛ فيبحث عن خلاص، وعن مشيئة الله التي تخبرني دائماً عنها؛ حتى وجدّتي أرددها بعقلي وقلبي.

هكذا فلتكن مشيئة الله طمأنينة لروحي.. وراحةً وسكوتاً.

## -ديالارا-

كأني أعود بالزمن للخلف..

دخلتُ غرفتي الصغيرة التي تركتها منذ ستة أشهر، وتأمّلتُ في اشتياق أشياءي التي تركتها ورحلت، وجدتُ نوتةً فيها كنتُ أكتبُ بعض خواطري، والقليل من الأحداث والكلمات التي كانت تعلقُ بي؛ فيريحني أن أضعها علي الورق، قرأتُ بعضًا منها؛ وجدتُني لستُ أنا! لستُ أنا التي كتبتُ هذه الكلمات! لقد تغيّرتُ.. كنتُ أشعرُ كثيرًا بالقيد وأني لا أجد أرضًا تتطوُّها قدماي، ولكن كانت بداخلي رغبة التحليق.. الآن أشعرُ أنّي فقدتُ هذا الشعور أيضًا، ربما أشعرُ بالحزن قليلًا والخزي أنّي تركتُ مازن لهذه الفترات وأني رحلت، ولكن قلبي لم يعد معي، ولا أعرف كيف أجدني، كأن هروبي هو منقذِي ومنقذِي الوحيد نحو الحقيقة.. أن أعرف نفسي فقط، وحتى ذلك لم أصل إليه بعد..

طرقُ لطيف أخرجني من تفكيري هذا، ودخلتُ عليّ أمي ورأتني وأنا شاردة؛ فضمتني إليها مطمئنّة، كم هو مريح هذا الحضن! وكم كنتُ أشتاق إليه، حتى فاجأتني أن هناك ضيف يريد أن يقابلني، وأنها تريدني أن أراه!

حسنًا فهمت.. ها هو السبب الظاهري لهروبي، قد جاء إلى عتبة بابي.

فخرجتُ إلى الغريب بلا ذهن يقوّيني أو قوة لتتعارف.. للحظاتٍ وقفتُ أمامه في حالة ذهول حتى اقترب مني، لم أستطع أن أتحرّك من مكاني! تعثّرتُ الكلمات في جوفي واختنقتُ حتى صارت كحجر عثرة في منتصف طريق لا ينتهي، ما هذا؟! وخرجتُ الكلمات مني أخيرًا إليه!

ديالارا:

- عمي صادق!

صادق:

- حمدًا لله علي سلامتك! كدا تقلقينا عليكي بالشكل ده؟!!

- أفلقكوا عليًا؟! أنا أسفة.. بس خير؟ ماما قالت لي إني هقابل (جوز.. ها).

- أيوه أنا عارف وهنفهمك يا حبيبتي! بس خلينا نطمّن عليكي انتي الأول.

- عمي صادق، انت جوز أمي؟! دا انت صاحب بابا الله يرحمه! وكنت بتيجي عشان تطمّن عليًا! ولا ماكنتش بتيجي عشانى?!!

- طبعًا كنت باجي عشانك وعشانكم! انتوا الاثنين.. أمك غالية عليًا جدًا.. وانتي بنتي اللي بحبها والله وأعلى من ولادي.  
- فهمت.

صمتُ تمامًا ولم أستطع أن أنطق أكثر مما يمكنني أن أقوله، وعلى الرغم من انزعاجي ولكني لم أعد أشعر أنني غاضبة؛ فقط متفاجئة! نظرتُ لأمي مُحاولَةً أن أفهم لِمَ جعلت هذا الأمر سرًا طوال هذه الفترة؟! ولكني لم أقوَ على هذه المحادثات، جلسنا جميعًا في هدوء ننظر لبعضنا بعضًا في لحظة من الصمت، وتعلّلتُ بعدها أنني أريد أن أذهب لملاقاة صديقي مازن وأطمئن عليه، وعليّ فعلًا أن أفعل ذلك، ولكني كنت أريد فقط الخروج من هذا الموقف، وأن أستوعب هذا أيضًا.. ورحلت..

## -مازن-

أمي رحلت، وقد كانت هادئة وديعة..

لم أكن أعلم أنه برحيل أمي الهادئ سيتصدع قلبي هكذا، ولكن كان جزءٌ مني يعرف هذا وأخشاه، تُغَلِّفُنِي رحمة الله وسكينته، كما قالت لي صديقتي نوران، إلا أن قلبي المكسور عاد يؤلمني؛ فتذكرتُ حالي بهذه الشهور المنصرمة، وكيف مرّت حتى عادت ديلارا بعد تخبُّطي وفقداني لنفسي وتبدُّل الحياة معي.

لا أريدها أن ترى ضعفي، وأن تراني بهذه الحالة وأن ينكشف جرحي، عليّ أن أهدأ حتى يُشْفَى، ها هو الألم عاد، كما أنّ الحزن له متطلبات أخرى!

ولم يعد لديّ قدرة بأن أجوب الأرض وأدور حول نفسي مرة أخرى.. فلأترك كل شيء وليكن، وإن لم أكن أريد ذلك سابقًا، وحاربته حتى خارت قواي، ونزعها عني الأكثر قوة مني؛ إنه القدر، واختيار الله لي بأن تقوى نفسي، وقد كنتُ أعتقد أيضًا أنني مررتُ باختبارات عدة منذ وفاة أبي ومسئولياتي، ولكني كنتُ أهرب أيضًا من ألمي، ولا أريد أن أواجهه، أو أن أتقبله؛ حتى عاد أكثر فتكًا وتضخمًا عما مضى؛ فأتقبله إذًا لأودعه بسلام، ولتسكن روحي قبل جسدي.

## -ديالرا-

(هنجتن يا عاليّة)

(طب اهدي)

هاتفت عاليّة وأنا أصرع عقلي، إنه صديق أبي الذي طالما كان بجواري أنا وأمي، كيف يُعقل هذا؟! عندما رحلتُ كنتُ أظنّه أحدًا لا أعرفه، وأنها أخفّت عني زواجها خوفًا عليّ حتى أنتهي من دراستي.. لعامين تزوّجت وأنا معها ولا أعلم، وأدور بالحياة ولا أجد حياة خاصة تشبيني، وقفتُ أمام عاليّة في حالة من التّيه بعدما جاءت إليّ مسرعة، كنتُ أشعر بأني وحدي، وأن الحياة ليست معي، وأن اختبارها لي يزداد، تأملتُ كثيرًا منذ وفاة أبي، وكنتُ ألجأ إلى مازن دائمًا، ولكني أصبحتُ الآن أنا مصدر ألمه وخذلانه، ولا أنكر ذلك بل أخاف عليه، وأتألم معه لموت أمه؛ فلا يمكنني أن أذهب إليه وهو بتلك الحالة، كما أنني هربتُ منه قبلًا عندما كان معي، وبعدما علمتُ بالصدفة بزواجها من رسالة موجّهة لها تفهها جعلتني أتساءل، وعندما واجهتها وعلمتُ منها إخفاءها ذلك عني ثارت ثائرتي، ونسيّتُ توتر علاقتي بمازن وذهبتُ إليه!

ديالرا:

- ازاي يا مازن أمي تعمل فيا كده؟!

مازن:

- اهدي بس واحنا هنفهم سوا.

- بقولك خبّت عنيّ كل الفترة دي! وأنا اللي كنت دايماً بحاول إتّي

أرضيها على حساب نفسي!

- بلاش ترضي حد على حسابك.

- حتى انتَ كنتَ بعمل ده عشانك!

- ترضييني يا ديلارا؟!

- أيوه يا مازن أرضيك.. حتى لما عرَضت عليّا الجواز في الفترة دي وسببتي كنت بحاول أرضيك.

- أنا عمري ما سيبتك يا ديلارا! وكنت بس سايبك تفكري.. بس عمري ما تخيلت إنك بكده بترضييني، وكمان على حساب نفسك؟! دا أنا اللي كنت دايمًا بكون معاكي في جنانك وأحلامك والحاجات اللي بتعوزي تعملها!

- يا مازن انتَ دايمًا بتبقى خايف.. خايف تجرّب، وخايف عليّا وقلقان مني وعليّا، وحتى كل حاجة كنت بتحبّها سيبتها وماكملتهاش! ماكنتش أنا السبب!

كان نقاشي معه يومها كأن جزءًا من الجحيم قد فُتح بيننا؛ فلم نعد الصديقين المحيَّين، ولا الطفلين اللذين يكتشفان الحياة معًا، بل نؤلم بعضنا بعضًا! وهكذا كنت أفعل!

مازن:

- قصيدك إيه؟! أنا بعمل كل اللي أنا عاوزه؟!

ديلارا:

- قصيدك كل اللي همّا عاوزينه! أهلك.. أبوك.. أمك، صح ولا لأ؟

- أنا برضي رغبة أمي وأبوي الله يرحمه، همّا كانوا عاوزي دايمًا أكون مهندس وناجح في عيونهم، مش زيك هربت وخبيت وبقيت أعمل الحاجات من وراها وأخبها!

- تقصد الجيتار اللي بخيّبه عندك لما بحب أعزف؟! طب  
ورسوماتك اللي بتخيّبها في الأدرج! مش دا حلمك.. إنك تدخل فنون  
جميلة وترسم، مش دي الحاجة اللي كنت بتحبها؟!

توقف عقلي تمامًا وأنا أجلس بسيارة عالية وأنظر من خارج  
النافذة، ويمر المشهد بعيوني كأنما هو مشهد على الطريق لا ينتهي، بل  
يتحرك معي وتخرق كلماته أذني حتى نهايته وتوتري ورحيلي!

مازن:

- أنا خلاص مش عاوز أتكلم!

ديلارا:

- ولا أنا كمان يا مازن!

وزادت المشاهد بعيني الممتلئة بدموعي، ومن الغضب الذي حدثت  
به مازن حينها.. وأنا أسرع لأخرج من عنده، وإسراعه خلفي وإصراري  
أن لا أرى بعدها أحدًا..

ديلارا:

- سيبي أمشي.

مازن:

- بقولك مش هتَمشي من هنا! فاهمة؟!

ومحاولته لتهديتي وأنا أقف بجوار باب شقته، وأزبح عيني عنه  
ويتملكني الجنون، أريد الرحيل ولا شيء يستطيع أن يوقفني، حتى  
صديقي الذي طالما أحببتُ، وكان معي!

وعندما أمسك بذراعي وقمتُ بإطاحة يده عني لم أكن أرغب في أن  
يمسك بي! إن بداخلي يفور، وتركتُ مازن يومها في حالة من الذهول،

لقد جرحته ووضعتُ بيدي بداخله جرحًا لا يلتئم؛ فلا يمكنني بعد كل هذا أن أعود إليه من حيث بداية ما فعلت به.

تحدثتُ كثيرًا مع عالية، وهدأ عقلي، وأراحت هي بطيبتها قلبي، وبعضٍ من جناتها الذي أحبه وحناني معها جعلنا الوقت به شيءً يبهجنا أخرجني من كل هذا، حتى عدتُ للمنزل وأمي تخشى فراقِي؛ فحضنتها طويلًا..

## -يوسف-

يوسف:

- وحشتيني.

ديلارا:

- وانت كمان يا يوسف.

- أنا آسف إني حطيتك في كل اللي حصل ده! والحادثه دي!

- الحمد لله إنك بخير.

- أنا كنت فرحان جدًا يوم الحفلة، وكنت حاسس وأنا سايق إني طائر بيكي من فرحتي.

- أنا كمان كنت فرحانة وحسيت إن أحلامي اللي كنت بتمناها زمان اتحققت.. واتحققت بسببك يا يوسف!

- طب هترجي امتي؟ ولا إسكندرية ما وحشتيكيش؟!

- حقيقي أكثر من أي وقت!

تعلق قلبي بكلماتها تلك، وصوتها وهو يغزو قلبي؛ فنسيت كل ما بي من ألم من نتاج الحادث، وتمنيت فقط أن تكون أمامي، وأحضنها وأعتذر عما فعلته بها.

أشتاقها أكثر كلما زاد الوقت والبعد! وأردت أن أطمئن أنها تشتاقي كما أشتاقها!

يوسف:

- على كدا بقى أنا ماوحشتيكيش!

- أنا عاوزاك تبقى كويس بس.

- انتي بتبري يعني كدا؟! عارفه يا ديلارا لو ما جيتيش..

- هيحصل إيه؟!

- هجيلك أنا!

- ماتهرّرش يا يوسف! انت لسه جسمك فيه كسور وتعبان!

أعجبتني لهفتها التي نبضت من صوتها الذي أعشقه، وخوفها عليّ  
يجعلني أحبها أكثر..

يوسف:

- ياه ما هو لو همك كدا بجد كنتي بقيتي هنا! بس بصي.. أنا كنت  
عاوزك كمان في حاجة تانية!

ديلارا:

- مش فاهمة قول!

- خلاص يبقى لما تيجي هقولك!

- حاضر يا يوسف.

أغلقت الهاتف وتهيدتها الأخيرة عالقة بصدري وكلماتها، كأنما  
انتظرت عمراً بأكمله حتى تعود وتكون معي مجدداً، وأن أستطيع أن  
أعود لنفسى أيضاً معها، ولكن من نبرة صوتها شعرت بشيء ما تخفيه،  
ومكالمتنا لم تكن كافية لأفهم منها ما يحدث! إنها تخفي عليّ شيئاً  
والقلق يزيد توتري، وزادت رغبتي بالبعد عن التفكير بسجائري، ولكن  
يبدو أنني ازددت شراهة في تدخيبي عن ذي قبل، ولم أعد أتحمّل  
الجلوس بمنزلي.. مر شهر وأريد الخروج؛ فأنا بخير!

ومع مكالمة أخرى مع صديقة لي زادت سعادتي أن الحفلة التي  
أقمنها كان لها صدق جيد وجمهور، ويزيد من إمكانية عمل حفلات  
أخرى، ولكّتي أنتظر الفرصة المناسبة: لأغتنمها ولتعود الفرقة كما  
كانت.. أشعر بذلك، ودائماً كان إحساسي لا يخطئ.. على الرغم من  
جنوني وتهوري إلا أن حدسي لا يعجزه شيء!

## -نوران-

(والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت  
إلا وحبك مقرونٌ بأنفاسي  
ولا خلوتُ إلى قومٍ أحدثهم  
إلا وأنت حديثي بين جلاسي  
ولا ذكرتك محزونًا ولا فرحًا  
إلا وأنت بقلبي بين وسواسي)

عكفتُ أستمع للكلمات قصيدة "الحلاج" وأذوب بين معانيها، يا الله  
على جمالها وجمال المعاني! وشعرتُ أن نبض قلبي في كل سطر من  
سطورها يحنّ ويرق؛ فأردد: الله.. الله.. الله.. فيطيب صدري ويهدأ  
قلبي؛ فالله هو نور القلب، وامتداد الوصل، وعلو الروح.  
ترفقتُ بحال صديقي، ودعوتُ الله له كثيرًا بأن يترفق بحاله، وأن  
يطيب خاطره، وأن يسكن ما به.

رأيتُه يبكي لأول مرة؛ فهوى قلبي معه وبكى القلب، وجوارحي ما  
ترضى له الشقاء، ولكنه أمر الله وهو الأحن بنا جميعًا مما نحن نظنّ،  
وأودعتُ سرّي بأن الحب قد زار قلبي بعد طول انتظار، وما كنت لأظن  
أن ألقاه بهذا المكان؛ فكننتُ أطيّب قلبه وأتودّد إليه، ولا أعلم أن الله  
يتودّد إلي؛ فيرسلي إليه كلما احتاجني، ووالله ما أردتُ أن أتعلق ببشر،  
ولا أن يميل القلب، ولكنني بشر أيضًا.. أشعر.. وأحب، وأصدق القول  
أني نسيت لوقتٍ طويل علاقات الحب، وما تركتها هروبًا، ولكني

تحطمت كثيرًا وألمني ما قد مضى من حياتي، حتى رأيت مازن وصرنا  
أصدقاء، ووجدتُ به الوئس وحسن الرفقة، ولكني كنتُ أرى دائمًا في  
عينيه حبًا يشغله؛ فلم أكن غير صديقة، والبُوصلة التي يجد معها  
طريق، كما قال لي في إحدى المرات.

عملنا سويًا وهو كان صديقي ومرشدي، وأنساني خلافاتي الكثيرة  
مع أهلي وبعد فسخ خطوبتي، وبعد ذلك رأيتُه بحزنه العميق مع رحيل  
صديقة طفولته، وكم ضاع وشردَ في هذه الفترات! وعندما مرضتُ أمه  
كنتُ أجدني معه، ويحتاجني في تلك المحنة، ولكن ها هو قلبي يحنّ  
إليه ولا يتركني دون أن أراه أو أحدثه؛ فرفقًا أيها القلب، ودعوت الله لي  
وله كثيرًا.

رفقًا بنا يا الله.. فأنت أعلم.. فلتكن معي.

## -مازن-

تبدو كل الأشياء صغيرة ولا تهمّ، والحزن ضخم أمامها، يحيط القلب كماردٍ عظيم! تظنّ أنك وحدك مع هذا المارد، وأن كل الأشياء حولك تتفاقم؛ حتى تمتدّ إليك يدُ أكبر منه ومنك. الله يمدّ إليك يد الرحمة ويرسل لك معها نسائم المحبة، وتكون مع تلك الحياة القاتمة سكنٌ عظيمٌ بقدر معاناتك وبقدر دعائك، وكنت أدعو الله كثيرًا..

(وما كنتُ بدعائك ربّي شقيًّا)

فيستجيبُ لدعائي ويرحمي، كما أرسل لي ملاكًا من قبل تحيطني وتترفق لحالي؛ فكلما نظرتُ إلى نوران رأيتُ رحمةَ الله بها؛ فهدأ قلبي وتسكن روحي، ولكنه الجسد، جسدي الواهن ظلّ يئنّ حتى أدركتُ ما فعلتُ به. وكيف تركتُ الأيام تمضي وأنا لا أشعر بما جنّيته على جسدي، وأن لجسدك عليك حق، حتى جاء الأين والألم يتوزّع على أعضائي؛ فيأخذ جزءًا جزءًا ويتناوبان عليّ؛ حتى أغفو من شدة إرهاقي، حاولتُ كثيرًا أن أطمئنّ على إخوتي، ولكن ما أجده أني أريد الوحدة ولو قليلًا، ورحمةً بي كانوا يجلسون حولي كل يوم في هدوء، وترسلهم أمهم بطعام لمحاولة تعويضي عن ما تبقي لي من عائلي، كنتُ أنا من يحتاجهم، ووجودهم معي دون فعل أي شيء كان كافيًا جدًا، لم أعتدّهم بهذا الهدوء! ولكنهم كانوا أكثر رحمة وإدراكًا لما أمر به،

ولكن رؤية ديلارا كانت شيئًا آخر.. ديلارا كانت لي ملاذًا آمنًا من قبل، إلا أنها جعلتني أرى عيوبِي؛ فأقف أمامها أريد أن أحضنها، ولكني أراجع.. يصيبني الإحباط! ومع حبي لها فقد كانت مرآتي أرى بها عيوبِي، ومخاوفي تزداد أمامي، أرى من خلالها ما لا يعجبني في نفسي، معها كانت قوتي تزداد، ولكن في هذه الفترات لم أعد أقوى على شيء،

هاجمتني مشاعري وأتجاهلها كثيراً، وعاد الشكّ إلى عقلي ليفترسني  
ويلقي بي ضحيّة تهاوني ومخاوفي، تلك التي حبستها كثيراً، وها هي  
تقتحم حياتي بكل ما فيها؛ لتعيد صراعي القديم الدائم مع نفسي.

ولكني الآن أشفق عليّ وأريد أن أتصالح مع نفسي، لا يمكنني  
الهرب أو الندم، أو معاتبة النفس والاستمرار علي إيلامها؛ فهذا يكفي!

لقد مررتُ بالكثير وأريد أن يمرّ كل هذا، وأن أعود ولو قليلاً إلى  
هدوء وسلام نفسي.. اتكأْتُ على جسدي الواهن ووقفت للصلاة؛ فهي  
بُوصَلَّتِي بعدما فقدتُ الاتجاه ولا أحد يرشدني؛ فتضرعتُ إلى الله أن  
يسكن ألمي، ويلهم نفسي الصبر والسلوان، وأن يريح القلب والروح.

## -يوسف-

الوقت يمر بي وأنا جالس مع صديقي، لا يمنحي التفكير غير شكوك زائدة، وبعضًا من وساوس!

جو:

- مالك يا بني فيه إيه؟!

يوسف:

- مالي!

- هو احنا هنخرجك وتعدلنا ساكت كده! فيه إيه؟!

- دماغي مشغولة يا جُو والله.

- دماغك! أه هي دماغك فعلاً.. مش حاجة تانية يعني؟!

- مش وقتك والله.

- طب إيه هنععمل إيه؟! من ساعة الحادثة بتاعتك من شهرين

ومانزلناش بروفات، إيه نسيت السفر؟!

- لا مانسئش وفاكر، وهنرجع تاني.. ماتقلقش!

زاد حنقي، وحتى تلك الأحاديث بيبي وبين الرفاق لم تقل هذا

الشرود، وعقلي الذي لا يهدأ من التفكير في ديلارا!

(ماذا تفعل كل هذه المدة منذ أن قالت لي إنها ستعود للإسكندرية

وسأراها؟!)

يساورني القلق ولم أعد أطيق غيابها أكثر من ذلك، عقدت العزم

على رؤيتها، وعلى الرغم من محاولات هروبها مني وأسئتي الكثيرة إلا

أني لن أهدأ، تحسنت قدمي ويمكنني المشي عليها مع عكاز؛ فقد مرّ

العديد من جلسات العلاج الطبيعي، وأستطيع أن أذهب إليها، فإن لم تأتِ هي لي؛ إذن لم تتزك لي الخيار.

(مش بمزاجك يا ديلازا تسبيني محتار كدا فيكي..)

## -ديالرا-

وقفت أمامه، يقتلني الحزن الممتلئ بعينيه..!

تجمدت أطرافي، وحاولتُ جاهدة أن أبدو قوية، ولكن دموعي المتهمة فضحت أمري، لم أتمالك نفسي أمامه؛ فحضنته وهو صامت لا يعاتب أو يشكو، شعرتُ بقلبه ينبض كوتيرة قلبي سريعًا، وأطرافه مثل أطرافي أصبحت كأصابع من الثلج، توقفت للحظة عني تمامًا، وتوقف الزمن وصرنا معًا كجسد واحد متلاصق، أرواحنا المتصلة وقوة لم أعرف من أين جاءت وأحاطتني؛ كأنما ارتفعت عني قدمي ورأيتُ أني بعالم آخر، هكذا تبدل العالم، انتهت إلى اسمي الذي ألقاه هو بأذني؛ فعدتُ من السماء إلى الأرض كروحٍ تعلقت به، وجسد..

مازن:

- ديالرا!

ديالرا:

- مازن! أنا أسفة.

تباعد عني قليلًا، وكلما ابتعد شعرتُ أن جزءًا مني ابتعد عني، حتى وجدتُني وحدي.. هدأت، ودخلت وراءه إلى شقة أمه الراحلة، والتي ألمني رحيْلها وألمني أكثر تألّمه، وما به الآن مني ومن الحياة، أرجو أن يسامحني.

تبعته كقطعة صغيرة لا تعرف إلى أين تذهب، ولا تعرف غيره، دخلتُ خلفه إلى غرفته التي لم أدخلها منذ سنوات، ووجدتُ لوحات كثيرة ذات أحجام مختلفة من فحم وألوان "Oil"، وبها الكثير من ملامحي! ولكن تعلّقت عيناها بإحداها، كانت لطفلين صغيرين، الفتاة

تجلس على الأرجوحة وخلفها الصغير، وحولهما الكثير من الفرشات الزرقاء، إنها تذكرني بنا، وهذه الفراشات تذكرني بفستاني الأزرق وفراشاته الملونة ونحن صغار، لم أستطع أن أصمت؛ فأخذتني الشجاعة والفضول..

(مازن.. انتَ رجعتَ ترسم!؟)

لم يجبني! بل جلس كأنما لا أحد غيره بالغرفة؛ فجلست إلى جواره وأمضيتُ هذه الساعات دون أن ينطق مازن حرفاً، وكنت أبقى معه، حتى عندما يغادر الغرفة أتتبعه! شعرتُ أن قلبه متصل بقلبي، حتى غادرني إلى الحمام، وما إن عاد حتى وجدته يقف أمامي يلفظ الكلمات بمقاومة شديدة..

مازن:

- أنا مش قادر خلاص!

ودون مقاومة لأقرب منه، حتى فاض عنه بكاؤه؛ فسقط قلبي فجأة؛ فحضنته مجدداً وقلبي يؤلمني وعقلي يفور، وجوانحي جميعها تنتفض؛ فبكيْتُ معه!

## -نوران-

يا مُتَلِفِي..

ماذا فعلتْ بكَ لتفعلَ بي هكذا..

خطواتي التي سبقت سيارتي، وروحي التي تشتاق أن تصل قبل جسدي، وعيناي التي ترغب أن تراه، وقلبي الذي يتمني أن يضمه، وعقلي يراجعني وما أنا بنفسني فاعلة! حتى أعرف إلى أين قد يذهب بي الطريق؟!

وصلتُ إلى منزله وترجّلتُ من سيارتي، وقلبي نبض فجأة لا أعلم لِمَ؟! لا أعلم لماذا عندما وصلت أريد أن أعود، وأن لا أصعد إليه؟! تحيطني روحي، ولكن ربما قلبي خشيّ التعلق، وألا أجد نفسي بعدها، ولكني تلوتُ دعواتي كما أفعل دائماً، وارتاحت نفسي.

وطرقتُ الباب، وما على المشتاق إلا اللقاء؛ فهدأ القلب وبرتاج، فتحت لي التي أظن أنني عرفتُها من قبل من حديثه عنها، ولكن شعرتُ أيضاً أنني أعرفها روحاً قبل اللقاء، وقبل أن أراها بالمشفى.. ابتسمت لي وقبّلتني كأني إحدى صديقاتها؛ فأحببتها منذ اللحظة الأولى؛ فهي لطيفة وتلقائية تجعل من يراها يحبها منذ اللحظة الأولى، ولكن عينيّ بحثت عنمن جئت من أجله، وشوقي إلى رؤياه يفوق أن أنتظر وأجلس حتى..

ديلارا:

- مازن جوّه.. ثواني.

نوران:

- هو كويس؟! أنا جيت أطمئن عليه وأشوفه.

- لَسَّه شوية، بس الحمد لله.

قلبي ينبض سريعاً؛ فوجدته يأتي إليّ هادئاً، والحزن يخيم على  
روحه قبل جسده -يا الله أنت اللطيف الخبير-؛ فدعوتُ الله أن يريح  
القلب، ويسكن الجسد، ويحرّر الروح، وضعتُ ما بيدي من مشتريات  
للمنزل جلبتها معي، وأخذتها مني ديلارا.

ديلارا:

- شكراً يا نوران..

نوران:

- لا عادي ماتشكُرنيش.

ابتسم قليلاً لي؛ ففرح القلبُ، وتعجبتُ من لمعة خفية من عينيه،  
تشبه البكاء حتى أزاح وجهه عني ناظراً لديلارا بأن تُجلسني، ولكني لم  
أستطع أن أبقى طويلاً، إن قلبي يزداد في دقائقه؛ عليّ الرحيل، وعندما  
أصررتُ على ذلك وجدتُ الصديقة اللطيفة تحضنني بقوة أحببتها.

كم كنتُ أحتاج هذا الحضن! وأن أرى مازن، وودّعته، وسمعت  
صوته الحانق بكلمة واحدة لم يجد غيرها ربّما..

نوران:

- أنا لازم أمشي!

ديلارا:

- طب استيّي أنا كنت هتزل!

نوران:

- لا عادي.. خليكي! مع السلامة.. أشوفك تاني بإذن الله، خد بالك  
من نفسك يا مازن.

مازن:

- وانتي كمان.

رحلت قدماي، ولكنها صارت مثل شجرة بلوط عتيقة زُرعت عنده، وتمتدّ بدلاً من أوصالي جذورها عميقاً عميقاً بداخلي، ولا يمكنني أن أنزعها من هذا المكان، إلا أنني أخذتُ فقط الفروع حتى يمكنني أن أعود؛ فقلبي لم يعدّ معي، وروحي هائمة في عالمها، وجسدي يخذلني بشيء من ألمٍ سابق بقدمي اللتين ما زالتا تتذكران ألم الحادثة؛ فتمنيتُ أن أطيل الجلوس، ولكن ما بالقلب حيلة، ورحلتُ أتلو دعواتي له ولي، وأخذتُ أستمع إلى " قصيدة ابن الفارض " برحلي العائدة لحياتي وعالمي.

(يا مُتلفي)

قلبي يُحدّثني بأنك مُتلفي

روحي فِدالكِ عرّفتَ أم لم تعرّف

لم أقضِ حقّ هَواكِ إن كنتُ الذي

لم أقضِ فيه أسَى ومثلي مَنْ يفي

ما لي سِوى رُوجي وباذلٍ نفسه

في حُبِّ مَنْ يهواهُ ليس بمُسرِف

فلئن رَضيتَ بها فقد أسعفتني

يا خيبة المسعى إذا لم تُسعفِ

## -يوسف-

هل يمكن أن يعود كل شيء مجددًا؟!

أن تعود هي! أن أعود أنا! أن نعود معًا كما كنا! محدثًا نفسي..

(بالسرعة دي لحقت تحمها! وتتجنن؟)

اتخذتُ قراري ولم أجد غير أني أفقدتها وأفتقد نفسي، وعن هدوء الحياة وجنوني معها.. ابتسمتُ عند وصولي القاهرة، إن الحياة التي غابت، وجسدي الذي لم يرتح لليالٍ كثيرة، وعقلي الذي كاد أن يُجنّ، هي فقط ساعات وبعدها أُلقي كل ما يشغلني خلف ظهري.

ودّعتُ صديقي الذي أوصلني للقاهرة وجلستُ في أحد الكافيات، أرتب حالي وعقلي الذي يحسبُ كل كلمة عليّ أن أقولها، كل شيء يجب أن يكون في أحسن حال الآن، وعليّ أن أكون كما أنا؛ فهي تعرف أني مغامر.

تحررتُ أخيرًا من تساؤلات أُمي الكثيرة، حتى اتخذتُ قرارًا وعقدتُ عزمي عليه، مكاملة ديلارا الأخيرة، مرّ عليها أيام، وهذا كافٍ جدًّا ليصيبني بالجنون؛ فلا بأس بقليلٍ من التهور منذ الحادثِ إذن.. وهاتفتها وأخبرتها بوجودي!

يوسف:

- هنشوف هتهربي متي ازاي بقى المرة دي يا ديلارا هانم!

ديلارا:

- يوسف انت بتهمز! انت في القاهرة؟! ورجلك؟!

- ماتلقيش عليا.. اني بقي فينك، اني وحشتيني.

- أنا كنت مع عاليّة ومروّحه، بس طبعا عاوزه أشوفك.

- هو دا بمزاجك أصلاً؟! غصب عنك يعني!

- هههه حاضر.

تحركتُ على قدمي قليلاً كالعاجز محاولاً أن أترك عكازي، ولأن  
تمارين العلاج الطبيعي أفادتني: فيمكنني أن أترك تلك العصا العجوز،  
وأعود شاباً وسيماً مجدداً.

وكما خططتُ لهذه السفرية حتى تكتمل عليّ أن أضع مع صديق  
آخر أشيائي وعكازي، وتعجبت من نفسي: أتهرب من قدمي ولا أتهرب  
من الحب! أبدو أحمقاً جداً في هذه اللحظة، ولكنني سعيد!

## -مازن-

الحطام..

لَمْ يَبْدُو أَنْ الحطام هو كل ما يليق بحياتي الآن؟! ولا يبدو لي مَنْ فعل بي ذلك! فقد تحطّمتُ، ولكن لَمْ الحزن يرافق الخيبة فترافق صدري؟! كلما هدا الحزن شعرتُ بالخيبة والندم، وكلما هدأت الخيبة شعرتُ بالشك والقلق يحطم رأسي، ويعتصر الظن قلبي ويغلفه!

تحاملتُ على ذاتي المنكسرة وتوضأت: لأهدأ وأن أعود لأصلي، وأن أجعل الله هو معي: فتسكّنتُ الطمأنينة وتطرّدُ الشك والقلق والخيبة من داخلي، لا أعرف لَمْ كبرتُ هكذا سريعاً؟! لا أبدو أبداً شاباً في مستقبل العشرينيات!

كنت دائماً هادئاً متزناً، عقلي يكبرني حتى كبرتُ عنه وعن سني الفعلي، ولا يمكنني أن أعود لطفولتي، أو أن أضحك على نفسي بأني أشعر بأن جزءاً كبيراً منها قد رحل، وأن باقي عمري تُركت لي المسؤولية، حتى ما عادت السنوات تهمّ، ولكن بهذه اللحظة شعرتُ بكبري، وأن العجز ينخر في أوتاري: كأنما عشتُ ألف عام، هكذا إذن عندما تموت الأم.. نُعجّز بعدها فجأة، ألا يوجد مراحل لذلك؟! فقط يشيب الإنسان عندما يفقد أحبابه، كلما رحل أحدٌ منهم فقدَ جزءاً منه معه، وتبقى الذكريات التي جمعتك به، حتى تصير مثل: صور سوداء ألوانها بُهتت مع الزمن، وحتى الشعيرات البيضاء التي تغزوك بعد ذلك ما هي إلا حنين لهم، وليخبرنا أن لنا أحبة ذهبوا عنا ولن يعودوا، ولن نعود أبداً بعدها كما كنا.

جلستُ أتفقد مجلس أُمي الراحلة في سكون، حتى سمعتُ طرقاً علي الباب، ودون رغبة مني لأجيبه فعلاً، حتى وجدتها أمامي بعينها الممتلئتين بالمشاعر، تجمّدت أطرافي منذ أن رأيتها، وشعر قلبي

بالاضطراب حتى زادت دقاته، وحصنّتي، شعرتُ بسريانٍ دفءٍ غريبٍ بجسدي، وأن حضانها لي كان ساكنًا جدًّا، تذكرتُ حينها شعوري مسبقًا كالحظة (شعور آدم عند خروجه من الجنة) والعودة إليها، هكذا شعرت..

عندما بعدت عني ديلارا ورحلت، شعرتُ بأني آدم في أرض واسعة لا أجد بها حوائي، وعندما عادت علمتُ أنني قد خرجتُ من الجنة بالفعل، ولكن يظل حضانها هي جنّتي ورحيلها هو اختياري، كما كان اختبار آدم وبنيه في هذه الأرض.

بكت وهي تحضنني، ولم يمكنني أن أوقفها؛ فقلبي بين يديها، والله ما أردت حينها إلا أن ينتشله الله؛ فهو هالك، وحضانها صار حانقًا جدًّا؛ فأبعدتُ نفسي عنها قليلًا وجلسنا، لا يسعفني كلمات ولا حروف؛ فجلستُ بلا حراك وبلا روح، عيناها تراها، ولكن أريد أن أبدو قويًا ولم أكن، بقيت هي معي، حتى تركتها هاربا لغرفتي؛ ففتبعتني كظلٍ ينكسر الضوء نحوها كانكسار قلبي معها، رأت اللوحات التي رسمتها على مدار شهور، بل ولسنوات وكنت أخبئها عنها؛ حتى لا تعرف بجي لها!

تركتها تدور حولي كفراشة تحوم حول الضوء، ولكني معتم! فلما هي تدور حولي وتجد بي شيئا يجذبها! وحتى عندما ذهبْتُ لأغتسل وأضعُ بعض الماء البارد فوق رأسي المحموم من شدة اختناقني سارت خلفي، أهرب أنا منك الآن أم أنك لا تريدني غير إنهاك قواي يا ديلارا؟! ماذا علي أن أفعل؟! إن جسدي لم يعد يحتمل!

وعندما عدتُ وجدّتي كريشة في مهب الرياح لم تعصف بي هكذا؟! ألا ترحم اشتياقي إليها ورغبتي في أن لا أراها كل هذه المدة؟! إنّي متعب للغاية، ورحيل أُمي يؤلمني!

البكاء لم يكن أفضل خصالي، ولكني قاومته بشدة، منذ أيام وأنا صامد أصلي وأبكي، لا أريد أن أبكي لأحد، حتى وجدّتي أبكي أمامها، ولكن هذا لم يُرح قلبي فحسب بل قلبها أيضًا، جعلنا نعود ولو للحظة

كما كنا صغارًا متقاربين في المشاعر وقريبين في احتواء بعضنا بعضًا،  
وقبل أن تهدأ للحظات توقّف عقلي، وتذكرت لوهله نوران؛ كأنما  
بصيصٌ من النور جاء من وسط الظلام؛ فنبض قلبي فجأة، وجاءت  
طرقات الباب مجددًا، وقلبي يخبرني أنها نوران! فلقد استحضرتُها  
روحي.. وأرجو أن أراها.. وتكون معي!

## -ديالارا-

مهزومة..

شعرتُ أنني بهزيمة ما! إن الحياة تهزمني وتحاصرني وتأخذني عنوة، كلما اقتربتُ من شيء أريده؛ تبعدي عنه، وعندما أعتاد الخسارة وأجد ما يعيدني إليها تجبرني على الرحيل.. على التناسي.. على الفقد، ربما لأنني لم أرضَ يوماً عن فقدي أبي؛ لأنه كان صديقي الأول، ومأمناً أسراري، كنت أهربُ إليه من أُمي ويضحكني، وكنا سوياً معاً نضحك ونغلب الحياة بتفاؤلنا، كان يثق بي دائماً ويراني فتاته الجميلة، لم يحاصرني أبداً، بل جعلَ لي الحياة مغامرة كبيرة تستحق أن أحيها من أجلها، وكم مرّت ليالٍ وأنا أشعر أنني استمررتُ بهذه الحياة من أجل فقط أن لا أخذله وهو بين يدي الله، إلا أنه بقلبي دائماً، روحه تبقى في عالم آخر.

عندما رحلتُ من عند مازن، وفي طريق عودتي كنت أتخبّطُ: أريد أن ألقى بنفسي في حضن أحدهم وأن أبكي.. أبكي كثيراً، وأن أنام لا يشغلني شيء أو أحد، لم أعد قادرة على شعوري بالخذلان، لم أعد أستطيع.

وعندما وصلت إلى منزلي وجدتُ أُمي تأخذني من يدي في تعجل غريب، لم تكن تلك عاداتها حتى وجدته! وجدتُ يوسف أمامي يجلس في غرفة الصالون بمنزلنا! ماذا؟!

ديالارا:

- يوسف؟!

يوسف:

- ازيك يا ديالارا!

- إيه اللي جابك؟ واژاي جيت هنا؟!

- يعني مَفِيش حمد الله على سلامتِك! إيه ماكنْتِيش عاوزه تشوفيني  
ولا إيه؟!

- لا آسفة.. حمد الله على سلامتِك!

حاولتُ أن أداري تفاجُّبي من مجيء يوسف، وتوتري الذي ازداد مع  
ارتعاشات يدي، ولماذا لم أشعر أن وجوده هذا جيد؟! إني أشتاق إلى  
يوسف وأحبه، ولكن هذه المفاجأة لم تريحني!

ديلارا:

- اتعرفتُ على ماما؟!

يوسف:

- آه طبعا.. راقية مامتك دي قمر، أحلى منك على فكرة.

- راقية! كدا من غير ألقاب؟! لا دا انت تتقدملها بقى!

- يعني.. بفكر!

- بتفكر في إيه؟!

وعلى الرغم من مقاطعة أمي لحديثي مع يوسف وهي تومئ لي بأن  
أخذ من يديها الصينية بالمطبخ، شعرتُ بالغرابة في كل شيء! ورأيت  
عمي صادق، كان بالمنزل أيضًا!

يوسف.. أمي.. وعمي صادق! كلهم معًا يالغرابة! والأغرب قدوم  
عمي صادق إلينا وجلوسه مع يوسف، ويكمل حديثه كأنما أنا من  
قاطعهم!

ديلارا:

- ماما، هو انتي ليه ماقولتِيش إن يوسف هنا؟!

راقية:

- هو طلب منا إنه يقعد معنا!

- مش فاهمة!

- تفهمي إيه؟! احنا لسه بنفهم أهو!

ومن خلال حديثهم مع يوسف تعجبتُ من سعادة أمي به، وأتّها لم تلمّهُ على الحادث، أو حتى على وجودي معه في الإسكندرية! لم أفهم سبب أحاديثه معهم حتى الآن، حتى أفصح يوسف عن سبب الزيارة المفاجئة ورغبته في الارتباط بي!

ديلارا:

- جواز؟!

يوسف:

- أيوه يا ديلارا!

انسحبتُ من حديثهم مع يوسف، ولمتّه بنظرة عيني التي لم أستطع أن أخفيها، لقد أغضبني حقًا هذه المرة، لقد فاجأني وتركني مثل سمكة أدركت توّأ أنها أمسكت بشبكة الصيد، تحاول جاهدة أن تهرب من الشبكة إلا أنه ينتشلها من البحر، ويضيقُ تنفّسها ويزداد تشنّجها حتى لا تعود للحركة! هكذا فعل يوسف! وهكذا شعرت، ولا أعلم ماذا عليّ أن أفعل؟! عقلي في حالة شلل تام.

## -مازن-

علمان مختلفان وكلاهما يسكنان روحي، أيهما خُلِق لي ليكون  
سكناً؟!

عندما رحلت ديلارا وتركتني مُحملاً بذكريات كثيرة جمعتني بها  
وبحياتنا السابقة لم أحزن، أو أشعرُ أنها لم تكن معي؛ فهي كانت  
صديقتي دائماً وحببيتي، بل افتقدتها، وكم اشتاقت لها نفسي!

إن قلبي يسامحها، وروحي التي اشتاقتها تعلن أنها لم تكن غائبة  
عني، بل إن روحي أنا وما أحبه وما أردته بهذه الحياة لنفسي هو الذي  
كان غائباً عني منذ سنوات.

برحيل ديلارا عدتُ رغماً عني لأرسمها؛ فعاد لي شغفٌ شعرتُ كم  
كنتُ كالأموات دونه! وعادت لي رغبتني بالعزلة؛ لأهدأ وأحزن، ولأعلن  
للحياة عن تمردني عليها، وأنها لم تكن عادلة! إلا أن الحياة تركت لي  
حق الاختيار، وحق أن أعدل مساري.

وعندما جاءت نوران من عالم مختلف عني وعن عالمي مع ديلارا  
وجدتُ أن هنالك حياة أخرى وإنسانة علمتني القوة بالحياة، وعلى  
الرغم من تألمها إلا أنها استطاعت أن تُكمل وأن تجد نفسها، لقد  
كانت فراشة مضيئة ظهرت بداخل ظلمتي؛ لتخبرني أن النور دائماً  
سيصل، وأن الظلام سيمضي يوماً ما لا محالة.

بغزلي عدتُ لصلاتي التي تركتها لسنوات، ومنذ صغري، وبوفاة  
أمي، ومرور أصعب شهور رحيلها حتى هدأت، وسكن قلبي وارتاح  
جسدي، وكانت الصلاة هي محياي، والوصل الذي أراح نفسي  
وجوارحي.

كانت ديلارا في هذه الفترة باهته، تأتي إليّ في سكون لم أعهده منها، ولكنها تحاول أن تخفي عني شيئاً ما يرهقها ولا تريد إرهاقى به، أو أن تتحدث لي عنه، وكنت معها في حالة من الغرابة لا تسمح لكينا أن نعود كما كنا! ربما مع الوقت سنعود وربما لا؛ فنحن نتشابه كثيراً ونختلف تمامًا، ولا نعلم كيف نعود لبعضنا بعضًا، ولكننا نفعل دائمًا.

وفي تلك الليالي كنت أشتاق لنوران؛ فكانت تحضُر لي، ومعها أشعر بالارتياح والنور والسكون؛ حتى كانت صورتها وعيناها اللامعتان يغرقاني في حلاوة ما لا تشبه قبلها شيئًا.

مرّت السنة الحالكة ومشاريعها الكثيرة، وانتهت الدراسة بكل ما فيها، ومرّ هذا العام وكل شيء فيّ قد تغيّر، ربما شيء واحد لم يتغير؛ هو رغبتى أن أجد ذاتي مجددًا، ولغرابة الحياة بعد هذه المعاناة كنتُ أشعر أني أقرب لنفسى من ذي قبل، إلا أنني عانيتُ وتحطمت كثيرًا، ولعدالة الله بأن أرسل لي نوران؛ لتكون بوصله وهداية بهذا الطريق الحالك كما رأيته وأحببتها من أول لقاء بيننا بالجامعة، وعندما أوصَلتني لنساعد بعضنا في أحد المشاريع، ووضعتُ أغنية سمعتها لأول مرة لـ"ريم بنا"، والتي تعشقها نوران.. قائلة:  
- إنها قصيدة لمحمود درويش.. أحببتها وتشبهها..

(أثر الفراشة لا يُرى)

(أثر الفراشة لا يزول)

(هو جاذبيّة غامض)

(يستدرجُ المعنى)

(ويرحلُ حين يتضح السبيل)

(هو حقّه الأبديّ في اليومي)

(أشواقٌ إلى أعلى)

(وإشراق جميل)

عندها أدركتُ أن نوران هي " أثر الفراشة "، وأن نورها جاء إلي؛  
لينير عمتي، وأرجو أن لا ترحل عني، وبينما أنا شارد في أفكاري وجدتُ  
راقية أم ديلارا تهاتفني! ولم أعتد على مكالمتها مؤخراً منذ أن عادت  
ديلارا، إلا من الحين للآخر لتطمئن عليّ، ولكنه شيء ما آخر؛ عقلي  
يحدثني، ومعرفتي بديلارا أن خطباً ما يحدث ولم تخبرني عنه بعد!

## - نوران -

(أثر الفراشة)

جلستُ أشرب قهوتي بسعادة ورضا وبهجة، وعلى أنغام وكلمات فيروز تعجبتُ من حالي! هل مشاعري هي السبب؟! أم أن الحياة تخبرني أن شيئاً جميلاً سيأتي؟! فروحي بداخلي تطفو بي، والحب بداخلي كجريان المياه كالشلال للنهر، ويمتلئ ويزيد ويعلو..

ما أجمله الحب! وما أجمل الحياة! وأن نختر أن نسعد بها: فنُلقي بما أحزننا قليلاً، ونفتح نافذة الروح ليسكنها الحب.. كما كنتُ أفتح قلبي وأترك معاناتي وأذهب لدروب الحب، وأحتضن رفقاء الروح، كنتُ أشتاق نفسي حتى وجدتي بعد أن تقبلتُ تقلبَ الحياة وأنا بشر، وأنا بالحياة خلقنا لتتصل بالحب، وأن نختر المحبة الصادقة والبهجة في أبسط الأشياء؛ فوجدتني (وجدتُ نوران) التي ضاعت كثيراً في إرضاء الكثيرين على نفسها؛ فتركتُ إرضاءهم حتى وجدتُ ما أحبه وما أريده.. أريد البساطة والحياة الممتلئة بالحب، وأن أكون حرة سعيدة؛ فواجهتُ وتعلمتُ ألا أرضى بغير ذلك، وتركتُ من أهمني، ومن أذاني، ومن أصبر لأكون طوع أمره؛ حتى يرضى عني، وتعلمتُ أن أحيم مع وجود هذا الكبر داخلهم، وأن أرضي نفسي أولاً.

كنت فرحة برؤية مازن وأنه يتحسن، وأنني أشعر معه بالراحة والسكون. أحببت الرفقة وصاحبا، وقلبي ممتلئ بالبهجة.. أيمكنني أن أخفيها؟! ولكني لا أريد أن أخفيها؛ فهي من الله، وعدتُ أسمع أغنية أخرى وألحاناً تسعدني، وحمدتُ الله لهذه اللحظات، وسمعت قصيدة لابن عربي حباً لله..

عَرَفْتُ الْهَوَى مُدَّ عَرَفْتُ هَوَاكَ... وَأَغْلَقْتُ قَلْبِي عَلَى مَنْ عَادَاكَ

وَقُمْتُ أَنَا حَيْثُ يَا مَنْ تَرَى.... خَفَايَا الْقُلُوبِ وَلَسْنَا نَرَاكَ

أَجِبْكَ حَبِيبِنِ؛ حُبِّ الْهَوَى... وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَلِكَ  
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى.... فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ  
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ... فَلَسْتُ أَرَى الْكُونَ حَتَّى أَرَكَ  
فَلَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي...  
وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ.  
وَإِنِّي وَاللَّهِ لِأَحَبِّ مَا يَرْسَلُهُ لِي، وَأَنْيَ أَحَبِّ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ،  
وَيَفِيضُ قَلْبِي حُبًّا لِخَالِقِي..  
وَكَيفَ لَا أَحِبُّ وَأَنَا قَدْ خَلَقْتُ حُبًّا مِنَ اللَّهِ!  
عِزَّةً وَجَلَالًا.. وَرُوحِي تَشْتَاقُ.. رُوحِي لِلَّهِ تَجَنُّ وَتَشْتَاقُ!

## -يوسف-

مرّ عليّ الوقتُ كسيوف تقطعي أشلاء.. جنون ينتابني وشكٌ وقلق  
يلازم قلبي.

لم أعرف التعلّق يوماً، فلمَ يحاصرني هكذا؟! حتى قررتُ الاعتدال  
وأن أتركها لاختيارها بعدما تقدّمتُ لخطبتها، وتسرعني الذي أصبح  
عدوّاً لي في هذه الفترة الأخيرة، إلا أن بداخلي يعلم أنها تحبّني، وإن  
ولعي وجنوني بها له أساس، وليس التسرع ما يشغلني، بل إن موقفها  
هو ما يقلقني!

عدت للإسكندرية، ومرّ الأسبوع تلو الآخر وأتحدّث مع ديلارا  
بالبهاتف، وتخانقني وتلومني على تسرّعي، وأصرّ على معرفة موقفها:  
حتى قررتُ أن أهدأ وأن أتركها تهدياً أيضاً، وأن أوقفَ هذا الصراع  
الذي لا أطيعه، وانشغلتُ بالسفيرة التي تخص فرقتنا، وحفلة قادمة  
إلينا، وأرغب حقاً في عودة الفرقة مرة أخرى: لتعود الحياة أهدأ، بل  
ولطبيعتها، حتى لم يَكُن بالحسبان أو بهذه السرعة غضبُ أشرسٍ من  
عرفتهم!

نوال:

- أنت اتجنّنت يا يوسف؟!

يوسف:

- مالك يا نونا بس؟!

- رايح تخطب من ورايا! ليه مالكش أم! موتّني بالحياة؟! ولا أبوك  
هو اللي قالك كدا وفهمك إنك راجل عليّ؟

- استهدي بس! أنا ماخطبتش ولا حاجة! هي بس معرفة ومقابلة  
عادية.

- على أمك الكلام دا! الحوار دا مش هيتم! فاهم؟!

تمالكتُ أعصابي المحترقة من معرفتها المسبقة، ومن لخبطة حياتي في الفترة الأخيرة، وحاولتُ ألا أضخم الأمر، ولكنه على العكس أصبح أكثر توترًا وضيقًا، ولكن لم يعد بهم، هذا أفضل، كانت ستعرف حتمًا، وتركتهما لحديثٍ آخر معها مع رغبتني في قتل مَنْ أخبرها! ويبدو أنه والدي؛ فاللذان عرفا بالأمر هو وصديقي "جُو"، من أخبرتهم ما حدث في الأسابيع السابقة. بالتأكيد هو أبي! ولكن هل عاد أبي ونوال يتحدثان! ولم يعودا لتفاهة شجارهما ومشاكلهما منذ الطلاق؛ ليقفا الآن معًا ضدي! أم أنه جنون أمي وإهمال أبي بإخبارها! أعتقد أن أمي فقط مغلظة من أن أبي يعرف قبلها، أو أنها تظن أنه من أراد أن لا أخبرها! حقاً جنون!

## -ديالارا-

(لولا الأصدقاء لتوقفت الحياة)

لم تتركني عالية منذ أن عدت للقاهرة، وخاصة بعد ما قام به يوسف، وتوتر أحوالي مجددًا بالمنزل، وأسئلة أمي المستمرة عنه وعن ما فعلته بالإسكندرية! كنت أريد أن أحكي عنه، ولكن لم عليّ أن أفعل ذلك الآن؟! وأنا لست متأكدة من مشاعري نحوه! وفي حالة تردد يلازمي، وأعلم أنه أحد عيوي، ولكن تهوره أيضًا لا يعجبني! لم تعد صداقتي بمازن في أفضل حالاتها أيضًا، ولكني أقرب إليه منذ شهوري الأخيرة، ولا أريد أن أفقده مع شعوي بالابتعاد منه عني، كأن جدارًا قد بُني بيننا بفعل مَنِّي دون أن أريد ذلك، ولكنه حدث.. أفقده كثيرًا.

أخذتني عالية لأكثر الأماكن التي أحبها، وجلسنا معًا "بتوفلي" مكاننا المفضل، وأكلنا من المطاعم التي لم نكن جربناها من قبل، والكثير من الأيس كريم، ومع أغاني "Play list" الخاصة بعالية، ونغمة صوتها المبحوح التي أعشقها، كنا نغني ونضحك سويًا.. فعليًا لا يمكنها الغناء، ولكنها تجيد اختيار الأغاني، وتأخذني في رحلاتنا بالسيارة Road "trips": فلا أجد غير أن أنسى وأترك نفسي قليلًا للاستمتاع.

كانت تسخر مني أنني أهرب من محببتي، وهي لم يكن لديها "Boy friend" أصلًا "عديل": فتضحكني، وتصف يوسف بأنه في غاية الوسامة ومواصفات رائعة، ولكني كنت أضحك معها وبداخلي يرتجف! لم أشعر بهذا الآن؟! لم يقلقني يوسف إلى هذا الحد؟! وحتى عندما أخبرني بالسفر للفرقة لم أقفز من السعادة، وكم كنت أشتاقهم وأشتاق لجلوسنا معًا وللعزف معهم على الجيتار!

وأعلم أن بعد حادث يوسف لم يعد كل شيء كما كان، ليس ليوسف ولي فحسب، بل لنا جميعًا؛ فقد توقفوا عن التمارين، كما أن

صديقتي إكرام ستسافر لأهلها بالمغرب، فحتى لو أردت أن أعود للإسكندرية لن أقيم معها؛ فقد تغيّر كل شيء بالإسكندرية الآن، كما تغيّر كل شيء بالقاهرة، وصرت معلقة بسببي أنا وليس بسبب أحد آخر، رأيت عالية بعيني دموعاً مع أغنية " Help I lost my self again " ..."

عالية:

- إيه يا بنتي بس؟!

ديلارا:

- مخنوقة يا عالية! حاسة إني بلفّ حولين نفسي وخايفة!

- انتي خايفه من إيه؟! أعمل بيكي حادثة زي يوسف! لا ماتخافيش ههدّي السرعة أهو.

- لا ماأقصدش.

- أمال مالك فيه إيه؟!

- أنا سببت كل حاجة ورايا يا عالية.. الكلية والسنة الأخيرة ومازن وماما! وكل حاجة، وماكنتش صح، بس كنت محتاجة دا قوي.. إني ألقى نفسي.. بس خايفة جداً دلوقتي!

- بصّي.. ماتقلقيش من حكاية الجامعة دي.. هساعدك لما نرجع الترم الثاني، وهو ترم مش أكثر وانتي شاطرة وبتعرفي تخلصي، أما مامتك فخلاص يعني بقى أي سامحتك! ومازن اممم.. مش عارفه، بس انتي بتشوفيه على الأقل.

وعلى الرغم من طمأنة عالية لي وتصديقي في حديثها، إلا أن شيئاً  
ما بداخلي لا يُريحني، ولا يمكنني أن أتجاهل ما أشعر به ولو لمرة،  
وأغمضت عيني وعدتُ أغني مع عالية..(I let her go)

Well you only need the light when it's burning low

Only miss the sun when it starts to snow

Only know you love her when you let her go

Only know you've been high when you're feeling low

Only hate the road when you're missing home

Only know you love her when you let her go

And you let her go

وتعالت نغماتها مع سرعة عالية بالسيارة في شوارع القاهرة ليلاً،  
وهذا أكثر ما أعشقه بها؛ عندما تصبح أكثر أنواراً وهدوءاً، وتذكرت  
حينها يوسف؛ فهو يعشق هذه الأغنية؛ فابتسمت..

## -مازن-

وقفتُ أمام البحر.. تتلاطم أمواجه أمامي وتتكسر؛ فتدكرني بأيامي السابقة وتلاطمها بروحي وانكساراتي، ولكن به راحة عجيبة تسحبي بداخلها، حتى يعود مرة أخرى تعلو أمواجه وتندسحب.

ربما أردتُ الراحة والسكون فيما مضى، ولكن الآن لم أُرِد غير أن أقف على قدمي، وأن أترك كل شيء لأقدار الله؛ فليدبرها كيفما شاء، حتى هدأت روعي وارتاح جسدي وعقلي مما ألمه لفترات بعيدة.

جاء إليّ مَنْ كُنْتُ أنتظره منذ ما يقرب من ساعة أمام بحر الإسكندرية، ورأيتُه لأول مرة.. يوسف صديق ديلارا وحبیبها المنتظر كما وصفت لي أمها بالهاتف، وأن أتحدّث إليه وأراه لأطمئنّها، وها نحن نلتقي كعالمين مختلفين، أيضاً كمشرق ومغرب.. كبداية صباح وغروب شمس، مثل هذا الغروب الذي أوشك أن يأتي وأنا بانتظاره.

يوسف:

- مازن صح؟

مازن:

- أهلاً يا يوسف.

- أهلاً بيبك.. كنت أحب أستضيّفك في بيتي!

- مفيش داعي.. على البحر هنا أحسن.

- زي ما تحب.. كنت عاوزني في إيه! هي ديلارا كويسة؟!

استمر حديثنا ساعة أخرى وتعجّبهُ من رؤيتي، إلا أنه بدأ مهتماً جداً بما قد أحمله له من أخبار، وعن فتاتي التي أحبّها هو أيضاً، قلبي توقف تماماً حينها، وأصبحتُ فقط صديقها الذي يريد معرفة الشاب

المتقدم إليها، وعمّا نجّله نحن حتى تطمئنّ أمها، والغريب لأطمئنّ أنا أيضاً، وأعرف مَنْ كانت برفقته هي بالشهور الماضية.

لم أرتح تماماً وعرفت أنه يحبها، ولكني خشيتُ عليها ولم أُرِدْ أن تكون مشاعري هي سابق لعقلي، ولكنّ حدسي أيضاً يخطئني، ولكني أردتُ ألا أَدْخُلَ بينهما، وأن أترك الاختيار لديلارا، وألا أقف عقبه أمام الحياة التي اختارتها.. هكذا بعدما تحدثتُ إليه، ولم يعد للحديث بقية!

رأيتُ اختلافاً عن بعضنا تماماً.. شجاعته.. تهوُّره.. عناده.. ثقته الزائدة واعتداده بنفسه وأحلامه، وطموحٌ يملأ صوته عندما يتحدّث عن فرقته، وعمّا يريد أن يصل إليه، بالفعل نحن عالمان مختلفان أمام فتاتي، وعلما أن تختار عالمها الذي تحب.

وهكذا عدتُ أنظر للأمواج البحر التي هدأت مجدداً، وبعد أن انتهى بيننا الحديث؛ متأملاً الغروب المفترش أمامي، وانسحبتُ كغروب شمسٍ وقرصها الذي سقط تَوّاً في الأمواج حتى غاب مخفياً بداخلي دمعة لامعة حُبِسَتْ بقرص عيني.. مودعاً صديقها، ومستسلماً لقدرٍ جديدٍ يشبيني.. ورحلت.

## -ديالارا-

(لم يترك لي خيارًا آخر.. ربما! ولم أترك لهم الفرصة أيضًا كذلك)  
حضنتُ أُمي كثيرًا وكففتُ دموعها عني، وتخلّلت هي بأصابعها  
الرقيقة خصلات شعري الكثيف، وعيناى تقبلها وتحفظ صورتها حبًا  
وخوفًا واشتياقًا.

قابلتُ نوران صديقةَ مازن، وأخبرتها بمدى أسفِي لما فعلته بمازن،  
لم أعرف لِمَ ارتحت لها؟ ولكنها كانت مثل صديقة تمنيتُ أن أعرفها  
يومًا، ولأنها تذكّرني بمازن وهدوئه معي.. أعطيتها ظرفًا به خطابٌ كتبته  
لمازن، ربما خذلتني الكلمات كثيرًا وأنا أعلن له عن خطي، ولو لهذه  
المرّة، وعلقتُ بنفسى جملة ممّا كتبته إليه رافقتني لساعات..

(لما حبّبتني ماكنتش بحب نفسي زي ما انت حببتني.. كنت بهرب  
منها، ولما هربت منك ومالقتش حد أستخى في حضنه.. واجهت نفسي  
وحبّيتها، وفضلت انت لي القدر اللي اترسم من قبل ما نتولد وجمعنا  
سوا، والكون اللي عايش جوايا، انت اللي لما بشوفك بصدّق إن الحياة  
تستحقّ تتعاش.. شُفتك قمري.. ضي.. روح.. لمست روجي وتخلّلت  
جوايا للأبد)

حضنتُ جيتاري وعيناى تؤلمانى من كثرة البكاء، قلبي ينبض سريعًا،  
ولكنى أملك الشجاعة الآن.. ابتسمت، وترجلتُ من السيارة في إحساس  
من الحرية رافعًا إياى عاليًا، سحبتنى عالية من ذراعى مرورًا من  
البوابات الضخمة.

عالية:

- يلا يا ديالارا هنتأخر!

ديالارا:

- تيجي نجري؟!

- مجنونة انتي! نجري؟! في المطار!

- يلا بسرعة يا عالية.. هَسَبِّكَ.

حملتُ جيتاري خلفي وساحبة لحقيبتي، وعالية خلفي تحمل حقيبتها ونضحك سويًا على حماقتنا، وعلى من يرونا، ونحن نجري؛ لنلحق بالطائرة الخاصة بنا، المتجّية إلى كازابلانكا لملاقاة صديقتي إكرام، وبعد إقناع أمي لأسبوعين وجدنا تذاكرًا أخيرًا لنذهب، ولتأجيل ما لم أَعُدْ أعرف إن كان يجب أن يحدث هكذا بعد خناقات عدة مع يوسف وتركه لي لأفكر، وتاركة إياه لمهدأ.

(أعلم أنه هروب مجددًا، ولكني لست نادمة، بل أريد أن أجد طريقًا آخر..

ورحلتُ مع صديقتي المفضلة إلى المغرب)

## (ختام)

ربما هي الفصول الأخيرة من القصة، ولكنها ليست النقط الأخيرة؛ فكم من النهايات تكتب وتعلن عن نفسها! ولكننا نعلم بداخلنا أنها فصلاً آخر لم يكتب، وحكاية أخرى لم تُرو بعد، وأبطال آخرون لم نرهم ولكنهم هناك؛ فهي حلقات متصلة وفواصل؛ لتروي لنا أننا في تلك الحياة ما نحن إلا قصصاً تُروى وحكايات بداخل أجسامنا، وأرواحنا تعرف الحقيقة! ويومًا ستخبرنا بها، ويومًا آخر سنكون نحن من يبحث عنها حتى نجدها، ها هي مكتوبة منذ البداية بحروف أسمائنا وأرقام أعمارنا، وتواريخ تَرَكْتَ لنا ميلادًا جديدًا وحياة أخرى، ولتبدأ قصة أخرى..

إلى اللقاء في (كازابلانكا)..



